

الاعلام ولغة الحضارة

اي ان اللغة هي التي تحدد للأفراد رؤيتهم للم世الم وتجربتهم له ، كما تحدد معتقداتهم منه واسلوب تعاملهم معه .

وايا ما كان امر هذه النظرية ، فان اللغة مكتوبة ومنطقية ، قد اصبحت في عصر الشورة التعليمية والتقنية ، ابرز ملامع العصر الذي نسميه عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة . لتدبلغ التواصل بين الناس اقصى مداه وأضخم ابعاده .

ولذلك فقد كان من الطبيعي ان ينشأ في السنوات الأخيرة علم متخصص في تأثير اللغة على الجماهير وهو « علم المنقعة العملية للغة » او ما نحاول تحديد ملامحه في هذا البحث « بعلم الاعلام اللغوي » الذي يرتكز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة ، ويتوفر من الناحية اللغوية على البحث في قوة الكلمة وسلطتها .

وعلم الاعلام اللغوي يعد احد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث ، وهو علم ما زال يتحسن طريقه الى النور ، ذلك ان دراسة « المنقعة العملية » للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى وجود مناهج لغوية متكاملة ، واطار نظري تستند اليه ،

يشهد عالم اليوم اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله ، وايمانا صادقا برسالته واهدافه ، وعملا جادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائيا عن تنظيمات يعود اليها وقواعد تحكمه .

ان ما حدث من تطور مذهل في ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التي حققتها اللغة في سبيل تحقيق اتصال جماهيري على امتداد واسع . اصبحت اللغة في ظل الاعلام ذات قوة وسلطان ، لما لها من تأثير هائل على تفكير الافراد والجماعات او على شعورهم وسلوكيهم وآراءاتهم .

فائز اللغة في عصرنا الحاضر قد ازداد قوة ، واخذ الناس يعنون بوسائل الاتصال فيما بينهم . وازداد خطر اللغة المنطقية والمكتوبة بانتشار الصحافة والاذاعة والسينما والتلفزة والاساليب العصرية لعنون الاعلام .

ولقد ذهب اصحاب النظرية اللغوية في معظم الاحوال الى ان البناء اللغوي لاحدى اللغات التي ينشأ عليها الناس ويلقونها من امهاتهم وآباءهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكرييا سلوكيا بذاته وكان من رأيهم ان اللغة ائما هى « عالم لغوى وسط » يقوم بين الواقع الموضوعى وبين الناس ، ويتربى عليه الفرد اثناء تعلمه لغة الام

اخري فان الدراسة الاعلامية للغة تسعى الى حل المشكلات الكبيرة والصغرى في اللغة ، لتكوين وعي لغوى صحيح يساير الواقع السياسي والفكري لlama العربية ، سعيا الى الوحدة اللغوية والتحرر اللغوى والقضاء على التجزئة والشعوبية او التفروذ الاجنبى فى ميدان اللغة والفكر ، وفي هذا ما يجعلنا نتظر باحترام واجلال عظيمين لجهود « المكتب الدائم لتنسيق التعریف في العالم العربي » واقتداره على اجراء مسابقة هذا العام عن مخطوط نادر او دراسة تفسية حول اللغة العربية لم تنشر من قبل ، لما لهذا الموضوع من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية فاللغة العربية لغة حضارة ، ويعنى ذلك انها قاسم مشترك اعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والأداب ، وقد كان طبيعيا ان يسعى الاعلام للأفاده من مزايا اللغة الحضارية ، ويتحقق التحول العظيم بتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ويفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب في كل مكان ، وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان .

وان هذا التحول لنرمزة امام حراس اللغة والمحافظين على سلامتها ، لكن يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، خاتهم اذا ظهرت جهودهم في تلك السبيل – كما يقول الاستاذ محمود تيمور رحمة الله – امكن لهم ان يحيوا اللفظ الحضاري كلمة مكتوبة ، والكلمة تصافح العيون في الصحف والمجلات ، ثم هي تقرأ فتقرع الاسماع في الاذاعة والتلفزة والسينما ، ونتيجة ذلك ان يصبح اللفظ الحضاري معلما جماهيريا يسوع في الانوار كما يجرى على الاقلام .

وفي المفتاحات التالية تفصيل واسع لهذا المعنى ، تنتقل بعده من مزايا اللغة في التعبير الاعلامى الى مزاياها في التعبير على اطلاقه ، تحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الفصحى لأن الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمسه تمام المساس في زمان « اوساط الجماهيرية الحديثة » . التي تلعب دورا هاما في تغريب المعلومات المعتقدة من افهم اوساط الناس ، وحيث تصبح اللغة والكلمة المفتوحة والمسوقة او الكلمة المكتوبة ناقلة الحضارة الحديثة .

وبعد ، نرجو ان تكون قد وفقنا في شق هذا الطريق نجل من لا يخطئ تحيزا او تصورا في عالم البشر .

واسلوب محدد تتواهه في الومف والتحليل ، وهى امور لم تستوف دراستها بعد .

على ان فصول هذا البحث ليست الا اضائة بسيرة الى جهود سابقة لاستاذة جيلنا ، من اشتغلوا بالدراسات اللغوية ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة متارا على الطريق . ولكن الموضوع الذى عنيت به فصول هذا البحث انها هو من حيث ملة اللغة العربية بالعمر والحضارة ، والتعرض للقضايا اللغوية التى تواجه الاعلام العربى المعاصر . وهى بذلك تسير نحو منحى جديد من اتجاهات الدراسة اللغوية يريد بها الباحث ان يشق له طريقه اولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعد ، في سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند كل جزئياتها وكلياتها .

وعلى ذلك فان مهمة هذا البحث لم تكن في متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت في شئ هذه الارض ، في سبيل التعرف اليها – طریقا آخر ، يحاول هو ايضا ان يصل الى هذا الهدف البعيد في تمثيل اللغة العربية ومزاياها في الفن والتعبير . او على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا ، اتنا نحاول ان نرسم خطأ جديدا لا يتوازى مع هذه الخطوط السابقة وانها يقطعنها مخالفات اتجاهها ، ليظهر بما لم تظفر به من جزئيات ، او من احداث او من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقتا عليه او يغرنها ، وهو – هذا الخط الجديد – سيتثنى على كل حال الى الغاية الاولى ، وسيكون ردها غنينا للدراسة اللغوية .

وقد حاولت هذه الدراسة اذن ، ان تكشف من مزايا الفن والتعبير الاعلامى ومزايا التعبير على العموم في لغة الفضاد لأنها في مبدأ الامر بحوث دمت اليها المناقشة في موضوع الاعلام وتطوره او تطور قواعده ، ومستقبله في العالم العربى ، وناسبتها بحوث اخرى من المزايا الاعلامية في لغتنا ترتبط بها وتصلح ان تكون مثالا للمزايا التي تثبت للغة .

ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا موضوع « الاعلام ولغة الحضارة » او مزايا التعبير الاعلامى في اللغة العربية » موضوعا للبحث ، ويمكننا ان نوجز الاسباب التي دفعتنا في ان اللغة العربية اليوم احوج ما تكون الى كل عمل علمي : لابراز مزاياها الفنية والتعبيرية في مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة

الفصل الأول

اللغة وتكوين الرأي العام

ينزل العلماء جهوداً متواصلة لدراسة اثر اللغة في تكوين الرأي العام ، واعتبارها اهم عناصر القوبيات ، دراسة طيبة حتى يمكن التنبؤ بنتائج آثار الاعلام والتحكم فيها .

على ان فهم طبيعة الرأي العام ركن اساسي يساعد على كشف العلاقات التي تقوم بين عناصر المخطلة ، فإذا كان الرأي العام ظاهرة تلقائية اطلقوا عليها «عقل الجماعة» او «ضمير الجماعي» ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسي «اميل دركيم» . فان «اللغة» ليست من صنع الانفراد ، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتتبع من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران . وهذا ما يعني علماء الاجتماع اذ يترورو انها من «نتائج العقل الجماعي» .

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بأنه نظام خلق بنشأة نتيجة تفاعل نشاط الانفراد ، وتبادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم . وفي النهاية يصبح هذا العقل الجماعي هو القوة المسيطرة لاعماله الجماعية وتصرفاتها ، بحيث انه عند ما يقوم الانفراد باى نشاط اجتماعي ، فائهم يدخلون في اعتبارهم ، ويضعون في صلب ضمائرهم ، اهداف المجتمع واغراضه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية في الجماعة التي يتمنون اليها ، ويتحدد سلوكهم وتضبط علاقاتهم وفقاً للعقل الجماعي (1) .

فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الانفراد في اتباعه ، ويتخونه اساساً للتعبير عما يجول بخواطرهم ، وفي تفاصيلهم بعضهم مع بعض وعلى ذلك فائنا لا يمكن ان ندرس تأثير اللغة الاعلامية في الرأي العام دراسة موضوعية ، عن طريق دراسة سلوك الانفراد ، باعتبارهم ذرات منفصلة ، او كما يقول الدكتور ابراهيم امام (2) كما لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الميدروجين والاوكسيجن اللذين يتآلفونهما .

(1) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجماعي ورأي في طبيعة المجتمع البشري .

(2) الاعلام والاتصال بالجماهير ص : 204 .

(3) اللغة والمجتمع .

(4) العلاقات العامة والمجتمع ص : 137 .

(5) د . وافي : المرجع نفسه ص : 4 .

هذا التراكم هي اللغة . والذى يمنع الحيوانات والقردة العليا من ان تكون لها حضارة هو فى المحل الاول انتشارها الى اللغة وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكريه على مواصلة تجاريها وخبراتها . مما يكتبه القرد مثلا من « معرفة » في حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راكرة مقصورة عليه هو وحده . وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة او موقف مماثل ، ولكنها في الفترات التي تتخل ذلك لا يمكن على التفكير في تلك الخبرة او التجربة بقصد تحسينها او استخلاص اية نتائج منها للاستفادة منها في حل المشاكل الاخرى مثلا يفعل الانسان الذى ينافس فى العادة المشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيها بعد انتهاءها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات اخرى لتلك المعرفة . فعن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الانسان وتجاريه مستمرة ومتصلة وهذا يساعد وبالتالي على تطويرها وتنميتها . ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الانسان وهى القدرة على نقل تلك الخبرات التي تولت في آخر الامر التراث الحضارى او الثقافى من جيل لآخر عبر الزمن (8) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تميز بخاصيتها التراكم والاستمرار والنمو والتدرة على الانتقال . وال اكثر من هذا كله فانها هي ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكتر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اي انها العامل الاساسى في عملية التراكم التي هي اهم عنصر في الحضارة الانسانية (9) .

تكوين الرأى العام :

على ان العوامل التي تؤدى الى تكوين الرأى العام ، كثيرة ومتباينة ، كما انها تتفاعل مع بعضها

تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة (6) .

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون ان الاجتماع العام او الرأى السائد يكون في اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات . اما الرأى العام فأسسه الحوار والنقاش واحتکاك الانکلار وتفاعل الآراء . والرأى السائد او الرأى الاجتماعي قد يكون مبنيا على تقاليد موروثة او على عادات كانت آراء في الماضي ، ولكنها أصبحت كالبديهيات المسلم بها .

اللغة والاتصال الانساني :

ومع ان الرأى العام من المصطلحات الحديثة التي لم تعرف الا في اواخر القرن الثامن عشر ، ابان حرب الاستقلال الامريكية والثورة الفرنسية ، فلا يمكن القول بأن الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للرأى العام .

فلو اخذنا الحضارة — او الثقافة كما يفضل الانثروبولوجيون تسميتها . على انها هي حصيلة النشاط البشري خلال تاريخه الطويل ، والتي تمثل فيما اتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون وآداب وآلات وادوات وصناعات ، واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات في كل هذه الميادين لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التي تميز الحضارة هي خاصة الاستمرار . والتدرة على الانتقال من جيل لآخر ، بحيث يأخذ كل جيل عن من سبقوه ويضيف الى ما اخذه منهم ثم ينقلها بعد ذلك للاجيال التي تاتى بعده . خصوصية التراكم — كما يقول الدكتور احمد ابو زيد (7) — اذن هي التي تجعل هناك فارقا اساسيا بين الحضارة الانسانية و مختلف انواع النشاط التي نصادفها عند الجماعات الحيوانية الاخرى ، واداة

(6) د . واف : المرجع السابق ص : 147 .

(7) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثاني — العدد الاول — 1971 — الكويت .

Hoijer, "Language and writing" pp. 197.

(9) د . احمد ابو زيد : المرجع السابق .

تلك القوى المادية والابدية التي تشكل شخصية هذه الامة . ولكن نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التي تعطى للفرد معتقداته وتشكل اتجاهاته . فالانسان في المجتمع يتاثر بالاسرة والدين والتقاليد ونظم الدولة والامتداد والاقران والصحف واجهزه الاعلام ، والجماعات ذات التأثير كالنقابات والاحزاب والهيئات . ففي خلال هذه القنوات المشبعة تم التأثيرات المختلفة كل يوم ، لكي تكون اتجاهات الرأي .

ويرى لميان ان المسائل العامة هي التي تهمنا من سلوك الناس ، وهذه المسائل العامة تتأثر بما يتصوره الناس او ي bleak الصور التي يكونونها في رؤوسهم عن انفسهم وعن حاجاتهم واهدافهم وعلاقاتهم ببعض البعض . ويقول لميان ان هذه الصور التي توجد في رؤوس الناس عن انفسهم وعن الآخرين هي آراءهم العامة ومجموعه هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى برأي العام .

فالناس لا يعيشون في العالم الموضوعي الخارجي وحده كما انهم لا يعيشون في عالم النشاط الاجتماعي فقط كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرجمة اللغة التي يتخذونها اداة ووسيلة للتعبير . « فعلم الواقع » او الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لفتان متشابهتان تشبهها كافيا بحيث تعتبران مثيلتين لنفس الحقيقة او الواقع الاجتماعي . فالعالم الذي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عالم متباينة افن وليست عالما واحدا التصقت عليه اسماء وعناوين مختلفة (13) .

ويذهب بنيمان فورف (14) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا . وهذه الثلت والأنماط التي تفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها لاتها تواجهنا او لا لاتها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما ،

البعض ، وفي رأى ماكدوجال (10) ان اهم هذه العوامل هي : الثقافة والاحداث ، والزعامة ، والاتصال الجماهيري ، والاتصال الشخصي والشائعات . ومن ذلك يبين ان اللغة هي معامل الارتباط بين هذه العوامل جيئعا .

ولقد درج العلماء على اعتبار الثقافة ذات اثر كبير في تكوين الرأي العام ، وذهب بعضهم في دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة على الاكتفاء بتبيان العلاقة الخارجية الواضحة بين مفردات اللغة ومحنتها الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هذه المفردات تعكس الى حد كبير اهتمامات المجتمع والجوانب التي يرتكز عليها والتي تشتمل بالاعضائه مثل التقنية او التنظيم الاجتماعي او الدين او الرابط القرابي وما الى ذلك من المسائل التي تحتل مكانا مركزيا في بناء المجتمع وتدور حوله وبالتالي اوجه النشاط الاجتماعي المختلفة .

وكل هذا يوضح ان ثمة صلة قوية بين مفردات اللغة وكثير من جوانب الثقافة غير اللغوية (11) ولكن الشئ الذي لم يتم به معظم هؤلاء العلماء اهتماما كبيرا على الاقل هو ان اللغة قد تتدخل في تحديد وتركيب اغلاط الفكر في المجتمع الذي تسود فيه سوء ادراك الناس ذلك ام لم يدركوه . نكما ان الفنان وعالم النبات قد ينظرون الى الاشجار والنباتات والزهور من ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التي تتكلم لغات مختلفة تنظر الى العالم نظرات مختلفة وتدركه بطرق مختلفة (12) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمعنى الثقافي او حضاري وانه لن يمكن وبالتالي تحديد مفردات اللغة تحديدا دقيقا الا بمعرفة بقية مظاهر الثقافة .

ولذلك يؤكد اوديجادر انه من المستحبيل ان نفهم الرأي العام في امة من الامم ما لم تدخل في اعتبارنا

(10) د . احمد ابو زيد : نفس المرجع .
Peacock, J.L. Ikirsh, A.T. "The Human Direction" p. 16
C. Macdougall, Curtis D. "Understanding Public Opinion"
(1955) New York

(11) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثاني — العدد الاول — 1971 — الكويت .

Wharf, B.L. "Science and Linguistics" the Technology Review Vol. 42, 1940, p. 231. (14)
Sapir "Language" p. 162 (13)

منها ، والذى يقدمه المفسرون لها هو المؤثر الحقيقى (16) - الخ

الاتصال والرأى العام :

وتأسيا على هذا الفهم نحاول ان نلمس اثر الاعلام في تكوين الرأى العام ، فنجد ان الاتصال الاعلامي يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخلاص الرأى ، وحمايته .

وسيلة الاتصال الاعلامي في تحقيق هاتين الوظيفتين هي : اللغة ، التى لا تصبح مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار او مجرد رموز لما يدور في الذهان ، وانما تصبح تلك الوسيلة التى امتزجت بها عقولنا ونفسنا ، وندين لها بذلك القوة التى ساعدتنا على التعاون مع رفاقنا ، ومنحتنا السيطرة على مخلوقات اقوى منها جسما .

فإذا كان للرأى العام وجود حقيقي ، او منهوم محدود ، وجب ان نلمسه في تلك الرابطة الوثيقى التى تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكارهم واحاسيسهم وعواطفهم ، والتى تسمى باللغة او اللسان .

فأقوى رباط يجمع اواصر الاسرة هو اللغة التي يشعر بها افراد الاسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة ، ويحسون بحساس واحد ، وينطقون نطقا متماثلا . فالاسرة صفات خاصة في النطق والآراء ، واختيار الالفاظ وايثار بعضها على بعض . وهكذا تكون القومية بمعنى الرباط الوثيق بين افراد المجتمع ذات مستويات ، وذات احكام ، واصغرها حجما ما نسميه بالاسرة ، ثم ما نسميه بالقرية ، ثم ما نسميه بالدولة ، ثم ما نسميه بالدولة التي لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق ، ويعمد اليها كل افراد المجتمع (17) .

و قبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقومية ، سنحاول علاج كيفية تأثير الاتصال في الرأى العام . سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين : استخلاص الرأى وحمايته . فالرأى الفردى الكامن لا بد وان يتحول الى رأى علنى ظاهر ، وليس معنى

بمعنى ان العالم الخارجى او الواقع هو مزيج من العناصر وال العلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد حدود التباين وان العقول الانسانية هي التى تتدخل لتكتشف عما فيه من تنظيم ، ووسائلها الى ذلك هي الانساق اللغوية التى توجد في تلك العقول الانسانية ذاتها . فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتها وتنظيمها في شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك او اثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا .

الانماط والرأى العام :

وتتضارع قوى التأثير الاعلامية والثقافية بما في ذلك العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبى وغيرها ، لتشكيل الانسان الجديد الذى يجد نفسه في وسط شبكة من التأثيرات المتقاطعة . فالخطب والافلام والاغانى ، وصحف الحائط ، والرسوم البيانية ، وغيرها ، تكون في مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام الناس والتأثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا عن المجتمع . ولكنه يخضع في نفس الوقت – الى حد كبير – لرحمة اللغة التى يتخذها وسيلة للتعبير والاتصال .

فالشخص في المجتمع الحديث ، لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه .

والثقافة هي التى تحدد لنا مقىما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا – من قبل – في شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (15) .

ولا يعني ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد المدركات الحسية والتفكير ولكن عملها هو توجيه الارادات والتفكير في اتجاهات معينة مألوفة مستعينة في ذلك بالاغلاق الثقافية الأخرى .

وتحتفل طرائق واساليب التفكير في المجتمعات المختلفة بالنسبة للمذاهب وليس المذاهب نفسها ، فليست الماركسية هي المؤثرة ، ولكن النمط المسائد

(15) امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص 252

(16) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » - ص : 102 .

(17) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص 218

الاعلام ، او عن طريق حملات الممس او الشائعات . وقد فطن خبراء الدعاية والاعلام ، من خلال تجارب الحريين العالميين ان تأثير الاتصال في الرأى العام يزداد قوة باستخدام الاخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية . فقد اكتشفت قيمة الخبر في التوجيه والتاثير – واصبح الخبر هو العامل الذي يحدد صورة الاحداث في اذهان الجماهير وكفت الدعاية عن انتهاج الاساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الاسلوب الاخباري الاعلامي .

وحتى عند ما تقل الاخبار ، او ينضب معينها ، لا يجد الاعلاميون بأسا من خلقها او اختلاقها (20) . ويستغل خبراء الدعاية طبيب الانسان ، بأدراكه المحدود للعالم ، ومعرفته للاشياء بطريقة غير مباشرة اي عن طريق المعلومات والصور التي تنقل اليه بدلا من الخبرة الموضوعية والادراك المباشر فيعملون على خلق الصور الذهنية التي تتحقق اغراضهم . ويسعى الداعية دائمًا عن طريق التحكم في المعلومات التي يعرّفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التي يريدوها ان تنتشر بين الجماهير .

ومع ذلك فان هناك حدودا لا يستطيع الداعية ان يتتجاوزها مهما كانت قدرته ، ومهما كانت سلطنته في الرقابة على الاخبار والمعلومات . لأن الفرد يتمتع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما ان هذا الانتقاء يمتد الى قوى الادراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة التيم والمبادئ التي يعتنقها الفرد ، ويتناول بها من خلال الجماعات الاولية التي يعيش فيها .

فالانسان العادي بمعتقداته الراسخة – دينيا او سياسيا او اقتصاديا – لا يمكن ان يتقبل اي مناشدة دعائية تتعارض مع معتقداته . وقد اوضح « الدوس هكسل » (21) انه ليس من الصعب اغراء الناس على فعل ما يتوقون اليه . كما انهم لا يسلكون كما يسلكون نتيجة لصفحات قرأوها او خطب سمعوها ،

ذلك ان الاتصال لا بد ان يسرى في اتجاه واحد من القيادة الى الجماهير ، اذ ان الاتصال يتخذ ثلاثة مسارات (18) .

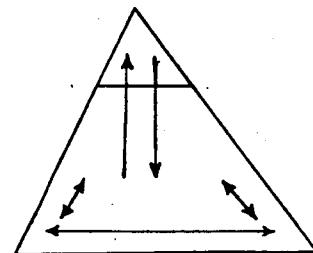
اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد ، وهو يشتمل على التوجيهات والتعليمات والبيانات والتفسيرات وغيرها .

ثانيا : الاتصال الصاعد من الجماهير الى القيادات وهو يشتمل على الملاحظات والشكوى والخطابات التي تمثل اتجاهات الجماهير .

ثالثا : التيار الافقى الذى يسرى بين فئات الجماهير في مستوياتها المختلفة .

وقد صور « هانزسباير » هذه التيارات الاتصالية على النحو التالي :

القيادات



الجماهير

ولكن هذه التيارات جمیعا ، لا بد وان تتفاعل وتنسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوین الرأى العام .

وفي رأى ماكدوگال (19) كما سبق ان اهم عوامل تكوین الرأى العام هي : الثقافة ، والاحداث ، والزعامه والاتصال الجماهيري ، والاتصال الشخصي ، والشائعات .

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل في تكوین الرأى العام ، سواء عن طريق اجهزة

(18) الدكتور امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير »

(19) المرجع السابق – ص : 239 .

C. Macdoogall, curtis D., "Understanding Public Opinion"

(20) « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص : 251 .

(21) نفس المرجع السابق ص : 145 .

لا يستطيع ان يتقبل المركبات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمته ومبادئه والثقافة هى التى تحدد لنا مقدماً هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حديته لنا ثقافتنا - من قبل - في شكل انباط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حدتها لهم بنيتهم وثقافتهم . معتقدين في ذلك على ما تمدهم الثقافة واجزء الاعلام من روئى واخيلة وانباط ، وما يسرى بين الناس من شائعات .

ومن ذلك يبين ان الاعلام ، كما يقول «اوتوجروتز» ، هو التعبير الموضوعى لقليلية الجماهير ولروحها وميلها واتجاهاتها فى نفس الوقت .

وتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

اولا : عنصر المرسل .

ثانيا : عنصر المستقبل .

ثالثا : عنصر الاداة او الوسيلة .

وقد اوضح كلبار الادوار الوسيطية النفسية والاجتماعية والثقافية ، التي تتقى بين المرسل والمستقبل . فليست هناك علاقة بسيطة و مباشرة بين الاتصال والتاثير ، وانما هناك تفاعل نفسي واجتماعي في مجال تناقض بين المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمراكز وال حاجات دورا رئيسيا في الاتصال الجماهيري . فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقيا عشوائيا بانصياع ورضوخ - كما يظن المنكرون النظريون - ولكنه يتنقى منها ما يفيده على ضوء بنائه النسبي الواقعى ، والمحيط الاجتماعي والثقافي الذى يعيش فيه . ومن الثابت ان احكام الآخرين في الجماعة الاولية التي يتخذها الفرد مرجعا له تقرر الى حد بعيد مدى تأثير الفكر بما يسمع او يشاهد .

ويقدم «ويلبور شرام» نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه - اولا - المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر مالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثاني هو التعبير عن الفكرة ومتناقلتها في رموز لتكون الرسالة ، او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذي يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ، ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية ..

وانما تكون تصريحاتهم نتيجة ل تعرضهم منذ الطفولة الى تربية معينة ، وتوجيه سلوكي متراكم .

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الرأى العام ، هو الاتصال الفكري ، وحرية المناقشة ، فعند ما يقارن الناس خبراتهم ، ويعبرون عن وجهات نظرهم من مسألة من المسائل الجدلية ، ويعطون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة ، وعن طريق المنظمات الاجتماعية ، فان هذه المسألة او المشكلة تصبح موضوعا للوعى العام او الاردak الاجتماعى . فاذا تيسر الاتصال بين الناس ، تيسر صدور الرأى العام ، اما اذا تذكر الاتصال ، فان الرأى العام يصبح متغيرا .

ذلك ان الاتصال يتتيح للمناقشات والجدل بين الانفراد ان تبلور في رأى عام . ولا بد في الاتصال الاعلامي من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الاول هو الوسيلة الاعلامية التي تنقل المعلومات او الاخبار الى القارئ او السامع سواء كان فردا او جماعة . ويختلف الانفراد بعضهم عن بعض في استقبال المعلومات . لأنهم يختلفون من حيث امزجمتهم وقوائم المقلدية وطريقة فهمهم للأشياء ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى العام في العادة ذلك ان الفرد في المجتمع الحديث لا يملك من الوقت او الجهد او المال او العلم ما يمنعه من الوصول الى معلومات دقيقة لجميع المعرف او تكوين صور حقيقة للعالم الذى حوله . وفي معظم الاحيان يكون الحصول اللغوى للقارئ او المستمع او المشاهد محدودا ، فلا يفهم ما يقال له .

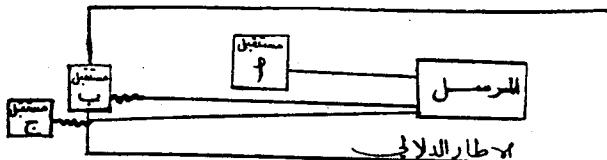
ومن ناحية اخرى تلجأ اجهزة الاتصال بالجماهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق في المطبوعات ، والزمن المحدود في الاذاعة والتلفزة . كما يلعب عامل السوق دورا رئيسيا في تقطيع الاباء وتحريرها وآخرها .

والجماهير - كما يقول الدكتور امام - لا تخذل التحليل الموضوعى ، والدراسة العلمية سبلا للوصول الى الحقائق . فالأشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السادسة بتاريخها وتجاربها وقيمها . ومع ان الشخص في المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجرد عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحدودة ، فإنه

من تداخل او تنافس مع الوسائل الاخرى . كما ان المستقبل نفسه ، وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة ، من اهم العناصر لانتمام الدورة الاتصالية . فكماءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة ، واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال ، وقدرة المستقبل على حل الرموز ، لا بد وان ينظر اليها على أنها عناصر متعددة لعملية واحدة . ولا يمكن للتناغم بين المرسل والمستقبل ان تكون الرسالة في لغة يضمنها الطرفان ، بل ينبغي ان تكون الخبرات مشتركة ايضا ، فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبة لا يشتتين ، لـ ان تعوشه معرفته للغة العربية في فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس شيئا من علم الطبيعة والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة .

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالي . فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان في اطار دلالي واحد ، كان ذلك اقرب ما يكون الى الفهم .

ويعبر عن ذلك على النحو التالي :



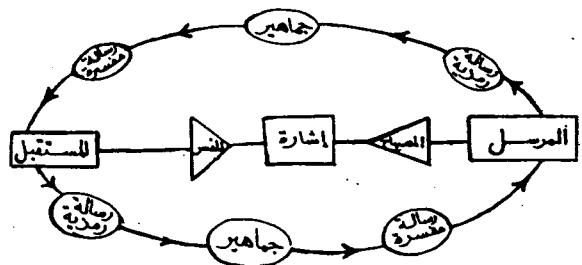
فالمستقبل (ا) يقع داخل الاطار الدلالي للمرسل ، فهو يفهم كل شئ والمستقبل (ب) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالي ، فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى ، اما المستقبل (ج) ، فإنه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالي تماما .

اللغة والاتصال :

قال بعض العلماء : ان اللغة افراز مركب ضروري للفرد . وصالح لان يكفي بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا

واذا وصلت هذه الارجاع ، وفسرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكمل وتتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال – الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية . هي التي تتبع البناء الاجتماعي والثقافي نفسه .

ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالي :



لا بد للمرسل ان يضع رسالته في شكل معين او صيغة محددة من الرموز او الكلمات ، ومن الطبيعي ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، او وسائل اعلام – كالصحف والاذاعة والتلفزة وغيرها – لـ لكي تنتشر بسرعة في اماكن عديدة . ومع ان الكلمات المسجلة ، والرموز المعروفة ، تكون ايضا من الرموز السمعية ، فانها اطول عمرًا وابقى على الزمن كالآثار والاهرام والوثائق والكتب .

ويتوقف ذلك – كما يقول الدكتور امام – على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا في كتابته ، او غير واثق من نفسه ، او ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال . واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة ، فانها تتفق في سبيل نجاح الاتصال . كما ان الوسيلة نفسها ، لا بد وان تكون من القوة والرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل في الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، بهما حدث

ويعتبر بزوج اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر التي تمتاز بما لها من أهمية وخطورة بالغتين .

وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة في الاتصال الجماهيري التي تتمكن بها من ادراك معنى الحياة، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هي اللغة .

وظيفة اللغة في الاتصال الاعلامي ، هي تمثيل الرأي العام على مرآة تعكسه ، وفلسفة اللغة تتخطى على انتعاشها ، وتنسقها بحيث تصبح مطية للرأي العام ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارقة للواقع .

اللغة والقومية :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقوى الصلة بين مناطق مجتمع من المجتمعات ، وتسلل بينها وسائل الاتصال ، تتكون لها مع الزمن « لغة مشتركة » تقرب بينهم ، وتعين اهلها على تفاهم اسرع وايسر ، وتقضى لهم مصالحهم الدينية . ولدينا في العصر الحديث امثلة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التي تسود في مناطق انجلترا ، وكالفرنسية المشتركة التي تسود في مناطق فرنسا .. الخ (23)

وتتخذ اللغة المشتركة في بدء نشأتها مركزاً معيناً ينبع له من الظروف والفرص مالا ينبع لغيره ، فتنتفع به المناطق الأخرى ، وتسلم له الزمام في النواحي السياسية ، والاقتصادية والثقافية ، وينتزع اليه الناس من كل صوب ، ثم تبلور عملية الاتصال الى مزيج لغوي منسجم يقبله الجميع ، وهو ما يسمى باللغة المشتركة . ومراعك اللغات المشتركة في العالم هي عادة العواصم التي يتهيأ لها من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا ينبع لغيرها من المناطق (24) .

ولذلك نرى فريقاً من العلماء يذهب الى تفسير اللغة على اساس عقل او نفسي ، ويرى ان اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ، ومن مؤيدي هذه المدرسة « سابير ».

يمكننا ان نسر كلام الفرد الى نفسه ، وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : ان اللغة هي دالة التفكير والحقيقة ان اللغة ، في عمومها ، ذات وظيفة هامة جداً يمكن ان تلخص في امرتين :

الاول : امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع .

الثاني : امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فلما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضحة ان طبيعة التخفيض تبدو في وظيفة كل فرد ، بحيث لا يمكن ان يكون خبازاً او نساجاً وحداداً ونجاراً وصياداً في وقت واحد .

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد في اموره على غيره من اصحاب هذه المهن ، وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ، ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم . ولا بد للتفاهم من لغة، ولو راقب المرء نفسه واحداً من حقل الاستعمال اللغوي ، لرأى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة ، بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة ، لا على مجرد الاستخدام .

اما الشق الثاني : من وظيفة اللغة هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان تتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كال التاريخ المشترك ، والدين المشترك ، والادب المشترك ، والفكر والاحساس ، والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شئ من ذلك بدون اللغة ، وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة ، او فكرة بدونها ، او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها ، او اراده تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيداً عنها .

ان الشركة في كل اولئك ، هي الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

(22) مجلة المجلة العدد — العدد 113 — مقال الدكتور نilm حسان — القاهرة .

(23) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية العالمية . — ص : 103 .

(24) مجلة « اللسان العربي » — العدد 6 — العدد 1388 هـ — الرباط — ص : 19 .

الناس في حياتهم المتمشية مع احتياجاتهم في كل أوقاتهم ، والتي يسعى الإعلام إلى تحقيقها عن طريق وظائفه الأساسية : الأخبار أو الإعلام ، والتنوير أو الشرح ، والتوجيه أو الإرشاد ، والتسلية أو الامتناع ، والتسويق أو الإعلان ، والتعليم أو التنشئة الاجتماعية .. أم كان احتياج الإنسان ضرورياً كاحتياج الإعلامي أو رجل الاتصال بالجماهير للتعبير عن الأفكار القائمة بنفسه لتوصيلها إلى أذهان الجمهور .

وعلى ذلك فإن اللغة المشتركة ذات اثر قوى في حياة الرأي العام ، لأنها السبيل لنفهم الآراء المحيطة بالناس ، والطريق لارتباط الأفراد بعضهم ببعض ، والموصل للأفكار القائمة بالازهان والمهمة لرقي الأمم في شتى نواحيها .

واهم صفات اللغة المشتركة أنها على حد تعبير « هنري سويفت » — تلك اللغة التي لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة المحلية التي ينتهي إليها المتكلم . واللغة المشتركة هي في الحقيقة تعبير آخر لما يسميه السياسيون بالقومية . ولذلك لم يكن من المصادفة ان القومية حين بدأت تتخذ شكلها في القرن الثامن عشر لم يكن روادها من العسكريين أو السياسيين ، وإنما كانوا من العلماء والشعراء والكتاب الذين حاولوا جهدهم ان يتلمسوا ارواح الشعب في الأساطير القديمة ، والاغانى المجهولة الأصل وكانت اللغة في اعمال هؤلاء المفكرين اداة هذه الذكريات والتجارب المشتركة ، والسجل التاريخي . مليست القومية الا تلك الصلة الروحية التي اساسها الأفكار والرغبات والشعور ، وكلها تنتقل من عقل الى عقل ، ومن نفس الى نفس في كلمات شائعة وثيقة الاتصال بتلك العقول والذنوس . فالكلام المشترك والتعبير العامة والنغم الكلامي بل المجازات ، كل هذا يتغلغل في نفوس ابناء البيئة الواحدة ، ويصبح المهد النفسي للشعب ، ثم قد ينجر في لحظة من لحظات التاريخ ، وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (27) —

ولعل « هردر » ، العالم اللغوي ، في اواخر القرن الثامن عشر ، كان اول من نبه الذهان في كتابه الى علاقة اللغة بنفسية الامة وشخصيتها اذ يقول : « ان

ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظرون الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الأفكار ، فيقول الاستاذ جنوتز في كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان اللغة ثلاثة وظائف :

اولاً : كونها وسيلة للتوصيل .

ثانياً : كونها مساعدة آلياً للتفكير .

ثالثاً : كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع اليها باعتبار وظيفتها في المجتمع ، فيعرفها العالم الأمريكي « دجارت ستر تفت » بأنها : نظام من رموز ملفوظة بواسطتها يتعاون ويعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية . ومن ذلك يبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع الانساني لأنها لا تتفق عند حد التعبير عن الأفكار ، وتوصيلها للأذهان كما يقول علماء المنطق لأن ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس هم أهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لقتل الأفكار ، وإنما هي وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع ، فانما نتبين كثيراً من الناس يتكلمون في موضوعات ، ليس يعنيهم منها نقل أفكارهم الى غيرهم ، وإنما يكون القصد من حديثهم الترفية والتسلية ، او النظر في امور تخصهم في ادارة شؤونهم (25) .

وبذلك يبدو ان رأي علماء المجتمع بتعريف اللغة تعريفاً يتناسب مع وظيفتها في المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة بوجه عام ، واللغة الإعلامية او لغة الاتصال بالجماهير بوجه اخر .

وإذا كان ذلك صحيحاً فينبغي ان نشير الى تعريف الاقميين للغة : وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (26) . وهذا التعريف للجريجاني وابن جني ومن الملاحظ ان هذا التعريف قد تبشي مع وجهة نظر علماء الاتصال بالجماهير والباحثين في الرأي العام تبشاً دقيناً لأن الاصوات ما هي الا الرموز الصوتية التي تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الإنسان في حياته ، سواء كان احتياجاته عاديّاً كشأنه

(25) « الخصائص » لابن جني — 1 ص : 21 — ط الهلال — 1331 هـ .

(26) ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 104 .

(27) ساطع الحصري : « ما هي القومية » — ص : 56

اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به ، وتحفظ فيه ، وتنتقل بواسطته افكار الشعب . واللغة سواء قلنا انها خلقت دفعه واحدة من قبل الله ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن ان نشك في انها الآن تخلق العقل او على الاقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدهه وتوجهه توجيهها خاصا . والادب الذي يسود بين الطبقات العليا من الامة يعكس تأثيرات خارجية او اجنبية ، ولكن لغة الشعب تمثل في كل روح الشعب نفسه .

ان لغة الاباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والديين . ان قلب الشعب ينبض في لغته . ان روح الشعب يمكن في لغة الاباء والاجداد (28) .

ويؤكد الفيلسوف الالماني «فيخته» من بعد «هردر» في اوائل القرن التاسع عشر ، ان اللغة والقومية امران متلازمان ومتعاذلان . ان اللغة ترافق المرء ، وتحركه حتى اعمق ادوار تفكيره وارادته هي التي تجعل منا نحن الالمان مجتمعـا متماسـكا يديره عقل واحد . ان الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من انفسهم كتلة موحدة ، ربطـت الطبيعة بين اجزائـها بروابـط متينة ، وان لم نرـها . ان الحدود التي تستـحق ان تستـحق حدودـا طبيعـية بين الشعـوب هـي التي ترسمـها اللـغـاتـ.

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبـون فـكرة ان اللغة اساسـ القومـية ، منهم «ماكس نورداو» الذى كان يقول : «ان الفرد يندمجـ في المجتمعـ باللغـةـ ، وبهاـ وحـدهـاـ . بالـلغـةـ يـصـبحـ عـضـواـ فيـ الشـعـبـ الذىـ يـتـكـلمـهاـ وبالـلغـةـ وـحدـهاـ يـتـلـقـىـ كلـ التـرـاثـ الفـكـرىـ والـشـعـورـىـ والـاخـلـاقـىـ والـاجـتمـاعـىـ لـلـامـةـ ، سـوـاءـ مـنـهـ ماـ انـحرـ عنـ قـرـائـبـ الكـتابـ وـالـشـعـراءـ وـالـمـفـكـرينـ ، السـالـفـينـ ، اوـ المـعاـصـرـينـ» .

ويتـضحـ صـدقـ الرـايـ الذىـ نـادـىـ بهـ النـظـرـيـةـ الـإـلـمـانـيـةـ منـ انـ الـقـومـيـةـ مـرـادـفـ لـلـغـةـ حينـ تـذـكـرـ تلكـ القـومـيـاتـ التيـ نـشـأتـ فـيـ اـورـوباـ خـلـالـ القرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ . نـقـدـ وـحدـتـ المـانـيـاـ عـلـىـ اـسـاسـ الـلـغـةـ وـحدـتهاـ بـعـدـ انـ كانتـ مـجـازـاـ إـلـىـ دـوـيـلـاتـ كـثـيرـةـ ، وـكـذـلـكـ وـحدـتـ اـيطـالـياـ

(28) د . ابراهيم انيس : «اللغة بين القومية والعالمية» - ص : 108 .

(29) د. عثمان امين : «فلسفة اللغة العربية» - ص : 16 .

(30) مجلة «اللسان العربي» - العدد السادس - ص : 19 .

البيولوجية خطا آخر للاستمرار ، يجعل الثفافة ، وتراكم المعرفة ، امرا مكنا .

وقد اتاح العلم الحديث للغة مكانت ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية في صورها النظرية والتطبيقية ، كما اتاح لللاظ المعنوية المجردة طاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر ، وخصوصاً ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنية بالمدلولات التي تعمقت في أغوار النفس البشرية وحاجات الإنسان حتى صار عدد من الفاظ اللغة عالماً من الاشارات والرموز العبرة عن ادق المعانى المجردة واعمقها (32) .

وكان طبيعياً ان يشتند الاحساس بالحاجة الى لغة اعلامية ، بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها الى : وسائل مكانية ، ووسائل زمانية ، ووسائل مكانية زمانية .

ويقصد بالوسائل المكانية تلك التي تشغل حيزاً في مكان كالصحف والمطبوعات والصور ، والفنون البشكالية ، وهي جميعاً وسائل بصرية او منظورة . اما الوسائل الزمانية فهي التي تتسلل في وقت زمني كالاذاعة والتلفزة والاحاديث المسومة ، وهي وسائل شفوية او سمعية . وتعتبر الافلام الناطقة ، والتلفزة والمحادثات الشخصية المباشرة ، وسائل مكانية زمانية لانها تشغل حيزاً مكانياً ووقتاً زمانياً في نفس الوقت ، وهي وسائل سمعية وبصرية .

وادى هذا التطور الى ظهور لغة من نوع جديد ، غير اللغة الادبية بمستواها التذوقى الجمالى ، وغير لغة العلم ، فاللغة الاعلامية الجديدة التي تسعى الى جميع فنات القراء ، الى تحقيق المستوى على الصعيد الاجتماعي للغة .

ويبلغ البعض في تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا ان عصر التدوين على المنبع التقديم قد انتهى ، وان اللغة اللسانية تستبعد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، وبكل ما في الصوت من نبر وايقاع ، وان الصورة تتخذ بدورها مكانها الى جانب اللسان . وينكر الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه

صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء ، عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ، ومعياراً دقينا لرقيمها او انحطاطها في ميدان الثفافة والعلم والحضارة .
وحاول الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز ، ان يكشف العامل الذي يفضل غيره في حركة التاريخ الانساني .
وبدا بـ « مذكرة الانسان الاولى » ، وهى الكلام او اللغة اللسانية وجعلها المحور الرئيسي لحركة التاريخ الانساني باسره . وقسم هذا التاريخ اقساماً رئيسية : الاول : عصر الكلام ، والثانى : عصر الكتابة ، والثالث عصر الطباعة ، والرابع : عصر الاداعة . ودخل في اعتباره العوامل المساعدة لهذا المحور الرئيسي ، كاختراع البخار والكهرباء ، واقتراح الطباعة بالاتنаж الآلى الكبير .

وليس من شك في ان ويلز كان من المبشرين بلغة جديدة ، وفن اعلامي جديد ، كان من القلائل الذين ادركوا ان التقدم الانساني يسير بخطى سريعة ، وبخاصة في التحكم في الطاقات الهائلة .

على ان ذلك يؤكّد ان اللغة لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل ، قدرة كلمنة ، وهي لا تفتتاً تتغير شكلاً ومبنيًّا ، تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبناؤها او من ناحية معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر ، او تضيف الى معناها معنى آخر جديداً دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتب بتطور الاتوام التي تتطقّ بها ، ولللغة والتطور عنصران متلازمان وهما بسمة المجتمعات منذ اقدم العصور ، ولا سبيل لتفضيل لغة على اخرى ، وانما يكون التناقض بين الوسائل المتّعة لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيري .

الامة البدائية حتماً لفتها بدائية وغير مصوّلة ومنقرفة الى عديد من العبارات والالاظاف التي تؤدي الى المعانى الحسية والمجردة ، فهي المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعاً ، وثقافته نمواً ، تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظاً مناسباً (31) .

ان اللغة تمنح الانسان بالإضافة الى وراثته

(31) مجلة « اللسان العربي » — العدد الاول — ص : 28 — المغرب — 1381 هـ .

(32) د . ابراهيم امام : المرجع السابق — ص : 199 .

والدليل على ذلك أن كثيراً من الأذيعين في مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين ، أو يجتمعون في القاهرة أو الدور الريفي للإستماع إلى تلاوة الصحف

اما الوسائل الزمانية السمعية كالاذاعة ، فتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة ، وإذا كانت المطبوعات الصحافة تناسب ذوى الثقافة ، فإن الإذاعة تناسب قليلى الحظ منها ، بل والأذيعين أنفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متواجراً في الصوت الإذاعي النابض بالحياة ، فإنه من الطبيعي أن تتفوق الإذاعة على الصحافة في هذه الناحية . ومن نتائج ذلك أيضاً أن الإذاعة من أصلع الوسائل للاستهواء والإيجاد (33) .

ويعلل « دوب » سر القوة الإيحائية بأنها وسيلة سريعة للنشر ، بحيث تتفوق على الصحافة ومعظم وسائل النشر الأخرى . وبذلك تفرد الإذاعة بالسبق وأولوية النشر . والآخر الأول للخبر أو الرأي لا يحمى بسهولة ، كما تصعب معارضته . والواقع أن الإحساس الجماعي من أهم مميزات الإذاعة . فقد يستطيع المستمع ان يشتراك فعلاً في البرنامج ، او انه على الأقل يحس وهو في بيته انه عضو في جمهور كبير من المستمعين . وهذا الإحساس الجماعي يعمق من قوة الاستهواء . ولما كانت الفالبية العظمى من مستمعي الإذاعة من الأذيعين ومتوسطي الثقافة ، فإن الاستهواء يكون ابشع وأقوى أثراً . ولا غرابة ، ان ، ان تلعب الإذاعة دوراً خطيراً في الدعاية السياسية الموجهة الى الشعوب المختلفة ثقانياً ، كما يقوم بدور رئيسي في الترويج التجاري ، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية . غير ان الإذاعة – والوسائل الزمانية السمعية عموماً – لا تمنح المستمع تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التي يتمتع بها قارئ الصحيفة أو الكتاب . فالمستمع مقيد دائماً بموعود الإذاعة المحددة الذي لا يمكن تغييره . وهو لا يستطيع ان يطلب من المذيع او المتحدث ان يعيد ما يقول ، او ان يقرأ بسرعة معينة تناسبه .

ويوضح لنا من التجارب التي اجرتها « بلومور » و « دوب » ان الوسائل السمعية البصرية كالافلام

الجارة كانت أكثر وسائل الاتصال مرونة ، لأنها تستطيع ان تسجل الصور الحسية على اختلافها ان تحكي او ترمز او تشير الى الصور البصرية والسمعية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال . والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة يجعلها تتفوق على بعض الوسائل الأخرى .

وأهم هذه المميزات ان القارئ او المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة ثلاثة ، فالقارئ مثلاً : في حالة الصحيفة او الكتاب يستطيع ان يقرأ بالسرعة التي تناسبه ، كما يمكن من اعادة ومراجعة ما قرأه في اي وقت وشاء . لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقّدة ، والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة . وغنى عن البيان ان هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكّن الناس من النقد المدروس ، والعنابة بالتفاصل الدقيقة فلا غرابة اذن ، ان تتفوق هذه الوسائل في التعبير عن الدراسات الدقيقة والمواضيع الطويلة ، ذات التفاصيل الكثيرة .

ومن اهم مميزات الوسائل المكانية البصرية ايضاً ، انها تخدم الانواع المختلفة ، وتعبر عن الاتجاهات المتعددة . فمن الممكن مثلاً ان تصدر اقلاليات محفنا لها ، كما يمكن للجمعيات المختلفة ان تسجل نشاطها في صحف ومجلات خاصة بها . ومن الثابت ايضاً ان الاتجاهات النظرية ، والحركات الثورية ، والمذاهب الجديدة لا تجد خيراً من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وآرائها .

ويندر ان تستعمل الوسائل الأخرى كالاذاعة في مثل هذه الاحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة في معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الأخرى . ومع ان التجارب التي اجريت في مصر وسوريا والاردن ولبنان مجتمعة ، فقد اثبتت ان 63 % من الجماهير العربية تتفضّل الإذاعة على الصحافة ، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها . ولا شك ان مرد ذلك الى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجماد الوطني المشرف .

(33) د . ابراهيم امام : المرجع السابق – ص : 199 .

وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى امية في كثير من قضاياهم السياسية .

ثم في العصر العباسي ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية . وتحمس الشعراء الشعوبيون للام او الاجناس التي ينتسون اليها . كما ظهرت في العصر العباسي عصبيات وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الأخرى .

اما في المدنities الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة ، نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها . ويبعد ان التقدم الحديث في فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية .

والبقاء او الدوام مقاييس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة . فالكتب اطول وسائل الاعلام بقاء ، وتشهد بذلك تلك الدور الخالدة في الآداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا من العمارة وسبل من وسائل الاعلام — وانه كذلك — ل كانت الاهرام والآثار المصرية والمساجد الإسلامية العريقة من اخذ هذه الوسائل جميعا . وتحتل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ، ثم تأتي المجالات التي تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، واقل وسائل الاعلام بقاء هي الاذاعة والتلفاز ، فلا تكاد تترك اثرا ياتيا بعد النشر . ومع ذلك فينبغي الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفاز لانهما يؤيدان واجب الاعلام السريع ، والاستهواه العاجل بالنسبة للأطفال ، وقليلى الحظ من الثقافة ، اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلاح الوسائل لمعالجة المعانى الصعبية ، والمبادئ الفلسفية ، والانفكار المعتقد بوجه عام .

وسوء كان النمط الاتصالى شخصيا او جماعيا او جماهيريا ، فشلة حقيقة واقمة ، وهى ان عملية الاتصال الاعلامي في جميع انماطها ، تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى ، وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ، ومعاناتها الثقافية ، تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى فلاتصال ، في جوهره ، هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها ، والتي يستخدمها الانسان من اجل التوافق النسبي مع العالم الخارجي . فالرموز هي جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقري وبدونها لا يمكن ان تعمل .

الناطقة والتلفزة ، تمتاز بتاثيرها القوى ، بحكم واقعية الصورة وحيويتها مترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية . ومع ان نتائج ابحاث هذين العالمين تشير الى ان الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الاخرى في درجة تذكر الافراد المعرضين لها ، فان هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة .

اما التجارب التي اجرتها « ستودارد » و « هول ودای » فقد اثبتت ان الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الثالثة على الاستهواء . ويفيد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للأطفال ، فهم وصدقون كل ما يرونه في الافلام ، حتى انه ليصعب جدا تعديل التأثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم . وغنى عن البيان ان عادات المثليين على الشاشة — كالتدخين او اختيار ازياء معينة — سرعان ما تنشر بين المراهقين وغيرهم من شديدي الحساسية للاستهواء .

والافلام من الوسائل القوية التي تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين . كما أنها تنجع بالنسبة للآجاتب ، الذين لا يحبون لغة الفيلم اذ يمكّنهم متابعة تسلسل الموضوع من خلال الصور وحدها ، ومن الثابت ان واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الالوان . اما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو اقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الاخرى . ولكن هذه النتيجة الاخيرة لا زالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (34) .

وليس الامر مقصورا على الميزات الطبيعية وحدها بل ان العادات والتقاليد والاساليب الحضارية ، لها تاثيرها القوى على تكوين الجماعات السمعية او البصرية . قبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد .

فمنذ العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة في العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها في مناصرة صاحب الدعوة . ثم في عصر بنى امية وجده ما يسمى « بالشعر السياسي » . وعلى الشعراء السياسيين من امثال جرير والفرزدق والاخطل والراعي

(34) د. ابراهيم امام : نفس المرجع — ص : 205 .
J.T. Klapper, "The Effects of mass media".

الفصل الثاني اللغة والاتصال بالجماهير

تعتبر مشكلات اللغة من المسائل الرئيسية الهمة في الدراسات الإنسانية ، ان لم تتجاوزها بالطبع الى الأهمية المطلقة .

والتعريف الشائع للغة هو أنها مرآة تعكس الفكر ان وسيلة للتعبير عن الأفكار وتوصيلها او تبادلها ، اذ يعرف « هنري سويفت » اللغة في كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الأمريكي « ساير » في كتابه « اللغة » بأنها « وسيلة لتوسيع الأفكار والاتجاهات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره » .

على ان احدث تعريف للغة هو ذلك الذي وضعه العلامة « جبرش » في كتاب « فلسفة النحو » : « تكمن روح اللغة في نوع من النشاط الإنساني ، نشاط من جانب فرد يجد في افهم نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بفرض فهم ما كان يجري في ذهن الشخص الاول » .

ولكن علم الاتصال بالجماهير بوصفه عملية اجتماعية هامة ، هو العلم الذي يدرس هذه الظاهرة دراسة منظمة تهدف على المنهج التجاري ، وتقوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس . وقد هيأت ظروف الحربين العالميين فرصة سانحة لدراسة اساليب الاتصال ، وفنون التأثير التي ما كان يمكن ان تناح على نطاق واسع لو لا هذه الظروف ، ففيها استطاع العلماء اجراء تجارب عملية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تأثيرهم بالاتصال . وقد خرجوا من دراسة الحالات واجراء التجارب ، بمجموعة من النظريات التي تربط بين عدد من الواقع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا (35) .

ويعتمد علم الاتصال بالجماهير على عدد كبير من البحوث التي اجريت في العلوم الاجتماعية الأخرى

(35) د . ابراهيم ألم : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 35 .
Sapir, "Language", Harcourt Brace, N.Y. 1921, p. 23

يتأثروا بالتفكير الهندي اللغوي بالرغم من اتصالهم بهم (36) . ومن هنا أنبهت الدراسات اللغوية العربية بطبع من أفكار الأغريق ودراساتهم التي يغلب عليها طابع الفلسفة (37) .

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية «الجباية» (38) كما ورد في :

« وقد بلغ من احکام معاویة السیاسیة وانتقامه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه .. الخ » ويقصد بذلك تأثير معاویة في الجماهير عن طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ به الامر الى حد تزييف الاحادیث، واختلاق الروایات ، وتلقيق المواقف التاريخية من اجل التحكم في نفوس الجماهير .

ومن يتبع تاريخ الطبرى وابن الاثیر يستطيع ان يقف على تناصل الدعاية الاسلامية في العصرین الاموى والعباسى . كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفة من اهل السنة والمعتزلة والشیعیة في الدعاية السیاسیة والدينیة معا (39) .

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير في الجماهير في كتابه «البيان والتبيين» : متى شاكل ابتك الله - ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فحواه ، وكان لذلك الحال وقتا ، ولذلك اقدر لفقا وخرج من سماحة الاستكراه ، وسلم من فساد الكلف كان قميما بحسن الواقع ، وانتقاد المستمع ، واجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العيابين ، ولا تزال القلوب به مغمورة ، والصدر ماهولة ، ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه ، متخيرا في جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التقىد ، حبيب الى النفوس ، واتصل بالذهلان ، والتحم بالعقل ، وهش الى الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواء ، وشاع في الامم ذكره ، وعظم في الناس خطره ، ومصار ذلك مادة للعنالى الرئيس ، ورياضة للبتطم المريض .

افلاطون صموحة المحاولة ويقرر ان السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخرى .

على ان افلاطون يرى ان الانفاظ تساعد على التوضیح وان الفكر لا يتولد من اللغة ، ولكن اللغة هي التي تتولد من الفكر . فلكن نسمى الاتسیاء بلسماتها لا بد لنا من ان نعرفها اولا .

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخري حين يتنازل موضوع الاتصال بطريقة مباشرة في كتابه «الخطابة» فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاهها مختلفا عن اتجاه افلاطون ، فلذا ان اللغة لا يمكن ان تكون الماما وموهبة انسانية . وان اللغة نظام لفظي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية في مكان ما.

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون في الاخذ بالنظر العلمي ، فقسم الانفاظ الى اسماء ، وافعال ، وحرروف ، وتحدث عن موضوعات لفوية منها التذكر والتائית والبساط والمركب .

ولاراء ارسطو في اللغة مكانتها التاريخية في علم الاتصال بالجماهير ، حين يؤكد ان «الخطابة هي القدرة عن النظر في كل ما يصل الى الاتصال في اية مسألة من المسائل» . ذلك ان الخطابة او البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة في الجماهير هي محور ودراسة علم الاتصال الجماهيري الحديثة ، فارسطو يقسم الموقف الاتصالي الى ثلاثة عناصر .

هي الخطيب او المرسل ، والجمهور او المستقبل ، والخطبة او الرسالة ، مع ضرورة نهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء . وهذا هو ما ظهر تماما في الدراسات الحديثة .

الدراسات الاسلامية :

وقد تأثر العرب بهذا العلم الاغريقي وقرأوه مترجمة على يد الاراميون والسريان . ومن العجيب انهم لم

(36) ابراهيم السامرائي : « التطور اللغوي التاريخي » - من : 11 .

•

(37) د . عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » - من : 16 .

(38) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » - من : 39 .

(39) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » - من : 29 .

« المورفولوجي التعليمي » اي « علم البنية التعليمي » (43) .

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذي عرفناه « بعلم الصرف » .

وأتجهت الدراسات العربية كذلك إلى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب ، على النحو الذي وجدناه لدى أرسطو ، وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلوم البلاغة » التي تضم المعانى ، والبيان ، والبديع . وعلم المعانى يبحث في بيان ما ينبغي أن يكون عليه الأسلوب العربي ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد أبلغ تعبير ، أما البيان فهو العلم الذي يشرح المناهج التي يسلكها الأسلوب العربي في استخدام التشبيهات والمجازات والكتابات ، والبديع يدرس الحسنات المعنوية واللدنية التي يحتملها الأسلوب العربي وموضوعات البحوث الثلاثة ، كما نرى تبحث في اللغة الاتصالية ، على النحو الذي تتجه إليه علوم الاتصال بالجماهير ، وهي من جهة أخرى « ترجع إلى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة » المستيلستيك التعليمين » اي « علم الأسلوب التعليمي » .

وقد عنى المتقدمون بالكتابة في بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » لابن عبيدة ، و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة في هذه العلوم في مؤلفات تضمها جميعاً « كالصناعتين » لابن هلال العسكري و « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد التاجر الجرجاني .

وفي الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون في الكلمة العربية من حيث نطقها واداؤها ، لبيان الوجه الذي قرئ بها القرآن الكريم . وقد اشتغلت مؤلفات الباحثين في القراءات على بحوث دقة قيمة في اصوات اللغة العربية وطبعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها ، والفن وضروريه ، وتتأثير اصوات الكلمة المجاورة بعضها ببعض .. وما الى ذلك من مسائل « الفونيتيك » الخاصة باللغة العربية (44) .

فإذا أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة ، وكان من يعم ولا يحصى ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفاً بأهل الجماعة ، شفافاً لأهل الاختلاف والفرقة ، رجمت له الحظوظ من اقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزمتها ، وجمعت التفوس المخالفة الاهواء على محبته ، وجلبت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضينا وأفرغ عليه من محبته ذنوياً حتى اليه المعانى وسلس له نظام النظر ، وكان قد اغنى المستمع من كد الكف ، وراح قارئ الكتاب من علاج التفهم (40) .

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم ، بعد نزول القرآن ، واتساع الفتوحات ، وخاصة بعد قيام الدولة العباسية ، فجنوا انفسهم للعناية بأمور اللغة حرصاً على كتاب الله ، فاتجهت الدراسات اللغوية في اتجاهات عدة ، واهتدى الباحثون لسائل دقة فيها قال الفراء :

وحننا لغة العرب فضلاً على لغات جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكراهة اكرمه بها ، ومن خصائصها انه يوجد فيها من الإجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات (41) .

ويبرز الاتجاه الأول في عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب « بالستنتكس التعليمي » اي « علم التنظيم التعليمي » (42) او « علم النحو » الذي يظهر على يد الباحث اللغوي ابن الاسود الدؤلي ، وظلت العناية موجهة في هذا الاتجاه إلى نهاية القرن الاول المجري ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة بأجزاء الكلام ، وتبين صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها البعض ، واتساع الكلمة ووظيفتها في الدلالة . كما اخذ العلماء العرب في هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتعلقة باشتقاء الكلمات العربية وتصريفها وتغيير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التي يطلق عليها الغرب

(40) « البيان والتبيين » - ج 3 - ص : 20 .

(41) التلقشندي : « صيغ الاعشى » ج 1 - ص 149

(42) د . واق : « علم اللغة » - ص : 53 .

(43) المرجع السابق - ص : 53 .

(44) المرجع السابق - ص : 56 .

في كتابه « الخصائص » كبحثه في اصل اللغة وهل هي الماء او اصطلاح - وهم جرا ،

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت في دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ، وتعنى اللغة ، حيث نتعرف على تطور اللنط ، والاساليب والعوامل التي اثرت في تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا .

وقد وجدنا ان الفارابي (47) المعروف في التاريخ بالعلم الثاني بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلون قد اسهما في دراسة دور الاتصال في المجتمع . كما قام الجاحظ بدراسة شبيهة للخطابة والتاثير في الناس .

ويتحدث الفارابي في « آراء اهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تمسك الجماعة ودور القيادة في ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صفيرة تتماسك بطول الثلاقي والاشتراك في الطعام والشراب ، والاشتراك في شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض ، والاشتراك في لذة ما .اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التي تتماسك بالاشتراك في اللغة واللسان وبتشابه الشيم والخلق .

ويذهب ابن خلون في مقدمته الى تعليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على اسس اجتماعية ، ويرفض ما ذهب اليه المسعودي من اسباب تتميل بتركيب الانسجة . ولعل هذا الاتجاه الذي يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية في تعليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذي يرفض التعليبات الفيبية والافتراضات المتصلة بالغرائز ، والعوامل البيولوجية العتيقة . وحين يتحدث ابن خلون عن التعلم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

« لأن الانفعال لا بد من عود آثارها على النفس ، فانفعال الخير تعود بأثار الخير والذكاء ، وانفعال الشر والفسنة تعود بغير ذلك فتتمسك وترسخ ان سبب تكررت ، وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارهم المذمومة في النفس ، شأن الملائكة الناشئة عن افعال » .

وتجهت جهود الباحثين العرب في الاتجاه الرابع الى البحث في اشعار العرب فجمعتها ونعتت عن معانى الغريب في مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله .

ويدلنا على ذلك ما روى (45) عن ابن عباس رضي الله عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضا : « إذا تعاجم شيء من القرآن ، فانظروا في الشعر ، فإن الشعر عربي » .

وعنى الاتجاه الخامس « بمتنا اللغة » والذي تفرعت منه ثلاثة اقسام ، عن الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات ، واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » .

وعنى القسم الثاني بوضع معجمات ترمي الى بيان المفردات الموضوعة المختلفة المعاني » وترتيب المعاني بطريقة خاصة ، وذكر الانفاظ التي تقلل للتعبير عن كل معنى منها كتاب « الانفاظ » لابن السكري ، و « الانفاظ الكتابية » للمهداني ، « فقه اللغة » للشعالبي .

اما القسم الثالث فقد عنى بتأليف رسائل خاصة في الانفاظ او المعاني ، كتاب ابي حنيفة في الانواء والنبوت ، وكتاب يعقوب في النبات والاصوات والفرق ، وكتاب الاضداد في اللغة للانباري .. الخ

واتجه البحث اللغوي عند العرب - في الاتجاه الاخير - الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (46) .

فمن ذلك دراسة الاصمعي للاشتقاق في اللغة العربية ، ومعظم البحوث التي ضمنها ابن فارس في كتابه « الصاحبي » في فقه اللغة وسوق العرب في كلامها كبحثه في خصائص اللسان العربي ، والقياس والاشتقاق .. الخ ، والبحوث التي ضمنها ابن جنبي

(45) « تفسير القرطبي » - ج 10 - ص 129 .

(46) د . وافي : « علم اللغة » - ص 59 .

(47) الفارابي - ابو النصر : « آراء اهل المدينة الفاضلة » - القاهرة 1948 .

اللغة في ضوء البحث الحديث :

« اللغة ودراستها » و « حياة اللغة وتطورها ». وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب دارون في التطور وكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التي يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على أنها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الإنسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليل اللغوي في العصر الحديث ارتبطت بتيارات الفكر العلمي التي سادت القرن التاسع عشر . ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات في إطار علم اللغة المقارن .

ومن جهة أخرى فقد عالج توماس هوبيز الذي عاش في إنجلترا في القرن التاسع عشر مسائل التفاعل الاجتماعي عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك في كتابه « التنين » ويقول هوبيز ان التجمع ليس صفة مقصورة على البشر ، فهناك تجمعات النمل وخلايا النحل التي تتصف بالتماسك ودقة العمل . ثم يقول ان اهم ما يميز التجمعات البشرية عن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكّن الفرد من ان ينقل الى الآخرين افكاره وآراءه بما يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فإذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة ، فان الاتصال الانساني على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الافكار والأراء . فليبيس غريبا ان الانسان وهو الحيوان الناطق ، وهو ايضا الحيوان الذي يحارب بالتفكير والعقيدة والدعاهية والسلاح . ولذلك يتطلب الامر وجود قوة تتمثل في الدولة او الحكومة التي تنظم الاطماع ، وتنشق الافكار ، حتى لا تعم الفوضى ويذهب الناس في سبلهم شتى .

وفي سنة 1860 ، بدأ اثنان من الباحثين هما لازاروس ، وستينتال نشر بحوث متصلة بعلم النفس لا شعوب ، وفيها دراسات عن اسباب الشعور المتماثل لدى الافراد ، وهى الروح العامة التي تظهر في اللغة والاساطير والدين والتراجم الشعبى ، والفن والادب ، وقواعد الاخلاق السائدة ، والعرف والقانون . ويبعدوا ان ستينتال قد وقع تحت تأثير الداروينية ، وقولها بوجود توأمين عامه تحكم التطور ، ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد وميله النفسي وقوله بوجود سيكولوجية

ظللت البحوث اللغوية في أوروبا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادي محصورة في دائرة ضيقة وتعدو كثيراً مسائل علوم البنية والتنظيم والأسلوب (المورفولوجيا والستنتكس والستيتistik) في اشكالها التعليمية (48) .

ولما بدأت النهضة الاوربية في اواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على العلوم العربية مترجمة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية ، حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز احد قضاة الانجليز في الهند والذي لاحظ الشبه القوى بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية ، هذه اللغات جميعها صدرت عن اصل واحد .

وكان من أشهر من افتتح هذه المسبيل فون شليجل الذي قرر ان الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هي مقارنة قواعدها وتراثيها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالىت الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى توأمين في تلك اللغات مثل التوانين في اللغات الهندية والتي جعلت اساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايدانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخي التي قام بها جريم وديبيز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم . وقد اسدى هذا المنهج المقارن في دراسة اللغة خدمة جليلة في بيان طبيعتها ، وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق ، وكشف لأول مرة عن وجود ما اطلقوا عليه اسم « التوانين الصوتية » وظهور علم الاصوات الشريحي على يد مولر ، وقد تهيا لهؤلاء العلماء ان ينتهيوا الى طريقة في الاصوات تغير الحروف اللاتينية.

كما اثار هذا المنهج المقارن التهوس بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية ، وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولر محاضرات في علم اللغة وقد نشر سنة 1861 . كما جاء في كتاب الامريكي Whitney في كتابين في نفس الموضوع هما :

(48) د . وافي : « علم اللغة » — ص: 40 .

ان تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان ، وكثرة العدد ولكن المهم هو اتجاه المشاعر والعواطف والافكار نحو هدف واحد ، ذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيري .

وبينما يؤكد لوبيون أهمية الابحاث في التأثير الاجتماعي، نجد ان تارد يذهب الى ان المحاكاة هي اساس التفاعل الذي يتم في الجماعة . والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هي اللغة ، فهي الاداة الاولى لنقل كثير من العادات والتقاليد ، ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الاجيال وعبر الجماعات والافراد . مكان المحاكاة هي القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير.

اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسري فرديناندي سوسر (1857 - 1913) نقطة تحول حاسمة في تاريخ البحث اللغوي الحديث . فقد كانت رؤيته الواضحة لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارة امام تلاميذه واجيال الباحثين من بعده .

فقد ذهب دى سوسر الى أن اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المتراكبة المتكاملة في نظام رمزي ، ولذلك حاول ان يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخي والاتجاه الوصفي الواتعى ، واخذ على اصحاب الاتجاه التاريخي انهم قد اهملوا — الى حد كبير — دراسة اللغة من واقع نشاط متكلميها الذين يعيشون بين ظهرانهم . ومن ثم فقد حرموا انفسهم من دراسة هذا الجانب الحى . كما انهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية في احكامهم على اللغة الواقعية . وهذا لا يتبع ادراك طبيعة اللغة ، فالسلسل التاريخي للحقائق اللغوية لا وجود له من وجها نظر المتكلم الذي يواجه وضعا لغويًا ثابتًا .. ويستطيع الباحث ولا شك ان يصل الى اعمق ذهن المتكلم مع تجاهل ماضيه اللغوى تجاهلا تاما (50) .

كذلك قسم دى سوسر ظواهر اللغة في وقت ما الى عناصر موروثة وعناصر مبتكرة . والعناصر الموروثة هي التي يسميها *Langue* او لسان ويعنى بذلك لغة

جماعية — او عقل جمعى — هي التي تمثل فيها التزاعات والميول التنسية الاجتماعية .

ويرى هيرمان باول ان علم النفس الاجتماعي بالمعنى الذى ذكره ستينتال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الاول . كما يقرر ان اللغة هي اهم الادوات التعبيرية التى تستعمل في المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكرة من الانفكار نشأت لديه بفضل كونه عضوا في جماعة ، وهى :

1 — يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيما حوله من اشياء او ادوات تعبيرية .

2 — تنتقل هذه الاشياء والادوات الى مفرد او افراد سواه .

3 — يقوم الآخرون بنشاط مادى يؤثر على بعضهم البعض تائرا قد ينيدهم ، ولكنه ينسجم مع متضيقات شفائتهم .

وقد استطاع « فونت » ان يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الاتطبعات الماضية في تشكيل عملية الادراك .

ومن المعروف ان دراسات الاتصال الحديثة تعنى عنابة فائقة بأثر هذه الاتطبعات المترتبة التي تكون الانطباط والتصورات الذهنية على ادراك المفاهيم الجديدة . لأن الانفكار لا تنشأ في ذهن الفرد مستقلة عن تراث جماعته ، وذلك لأنه بالرغم من ان تجارب كل مفرد هي التي تخلق في ذهنه ادراكه الا ان للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا في الحكم على امر ما بالخير او بالشر وبالجمال او القبح كما ان ثقافة المجتمع هي التي تحدد للفرد معالم افكاره .

وبعد ذلك اصبح موضوع الابحاث والقابلية للنشر او الاستهواء من اهم الموضوعات التي عالجها كبار المفكرين من امثال جوستاف لوبيون (49) وجرييل تارد . وقد اهتم لوبيون بدراسة سيميولوجية الجماعات في كتاب *روح الاجتماع* وكان متاثرا بالدراسات السابقة في الابحاث . والجديد في كتاب لوبيون انه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التأثير بينهما . ويقرر لوبيون

(49) « روح الاجتماع » — ترجمة احمد فتحى زغلول — القاهرة 1909 .

(50) من 76 وما يceedها من الترجمة الانجليزية لكتابه .

Course in general linguistics

الاتصال وجماعات الرأى كالاحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التأثير فيها . ويؤكد لميـان ان تصرفات الناس لا تكون نتيجة للاحظـات موضوعـة عن العالم الخارجـي ، بل تكون في حقيقة الامر مبنـية على التصرفـات الذاتـية او الصور الذهـنية الكـاملـة في نفـوس الناس . وهذه لا تكون بطـريقة الملاحظـة الموضوعـية ، ولكنـها تكون نتيجة الاتصال الشخصـي بالـناس والـاصـدـقاء ، والـاتصال الجـماـهـيرـي بالـصـحف والـاذـاعـة المـرـئـية والمـسـوـعـة ، وـفي اـغلـب الـاحـيـاـن تكون من تـقـاعـل هـذـين التـوـعـيـن من الـاتـصال .

فـالمـؤـثرـات التي تحـيط بالـانـسـان لا تكون السـبـبـ المـباـشرـ في الـاستـجـابـةـ لـالـبـيـنـةـ ولكنـ معـنىـ هـذـهـ المـؤـثرـاتـ اوـ صـورـتهاـ فيـ ذـهـنـ الـانـسـانـ ، هـىـ التـىـ تـحدـدـ الـاستـجـابـةـ . وـلـمـ كـانـتـ الـبـيـنـةـ المـوـضـوعـيةـ اـعـظـمـ وـاعـقـمـ منـ انـ تـفـهمـ فـهـماـ مـباـشـراـ ، فـلاـ بـدـ لـلـانـسـانـ انـ يـسـطـعـ وـيـخـتـصـرـهاـ فـشـكـلـ صـورـ اوـ رـمـوزـ يـسـتـجـيبـ لهاـ فـيـ بـسـاطـةـ وـامـانـ . وـهـكـذاـ يـكـونـ الـفـردـ عـالـماـ خـاصـاـ لهـ ، كـماـ تـكـونـ الجـمـاعـةـ عـالـماـ خـاصـاـ لهاـ . وـلـاـ شـكـ انـ الـاتـصالـ هوـ الـذـىـ يـلـبـسـ اـهـمـ الـادـوارـ فـيـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـبـيـنـةـ الثـانـيـةـ الـتـىـ تـكـوـنـ منـ مـجمـوـعـ المـفـاهـيمـ وـالـصـورـ وـالـاخـيـلـةـ .

ويقول لمـيانـ انـ الصـورـ الـتـىـ تـكـوـنـ فـيـ اـذـهـانـ الجـماـهـيرـ تكونـ بـعـيـدةـ عـنـ الـحـقـيقـةـ المـوـضـوعـيةـ ، وـيـرـجـعـ ذـكـرـ فـيـ نـظـرـهـ إـلـىـ عـدـةـ عـوـاـمـ اـهـمـهاـ الرـقـابـةـ عـلـىـ الـمـواـرـدـ الـاعـلـامـيـةـ وـالـسـرـيـةـ الـتـىـ تـضـرـبـ حـولـهاـ وـالـعـقـبـاتـ المـادـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ الـتـىـ تـحـولـ دـوـنـ وـصـولـ الـمـعـلـومـاتـ إـلـىـ الـجـمـهـورـ ، وـضـعـفـ الـقـدرـةـ عـلـىـ الـانتـبـاهـ وـالـتـركـيزـ ، وـالـقـرـرـ فـيـ الـلـغـةـ ، وـضـغـطـ الـمـكـونـاتـ الـنـفـسـيـةـ الـلـاشـعـورـيـةـ ، وـتـأـثـيرـ الـمـتـابـعـ ، وـالـتـكـرـارـ وـالـعـنـفـ وـالـرـقـابـةـ . وـهـنـاكـ اـيـضاـ غـمـوشـ الـحـقـائقـ وـتـقـيـيـدـهاـ مـاـ يـؤـثـرـ فـيـ الـوـضـوحـ ، فـيـنـشـأـ سـنـوـهـ الـفـهـمـ وـصـعـوبـةـ الـادـراكـ . وـعـلـىـ هـذـهـ الـاسـاسـ لاـ تـكـوـنـ فـيـ عـقـولـ النـاسـ اـنـكـارـ وـانـماـ تـنـشـأـ اـخـيـلـةـ وـاوـهـامـ ، وـهـذـهـ هـىـ الـتـىـ تـسيـطـرـ عـلـىـ سـلـوكـ النـاسـ . وـالـبـيـنـةـ الثـانـيـةـ الـتـىـ نـعيـشـ فـيـهاـ هـىـ التـىـ تـحدـدـ لـنـاـ ماـ نـدـرـكـهـ . فـنـحنـ لـاـ نـرـىـ ثـمـ نـحدـدـ وـلـكـنـ التـحـديـدـ يـكـونـ سـابـقاـ عـلـىـ الرـؤـيـةـ وـالـادـراكـ . وـمـلـاحـظـتـناـ لـلـاـشـيـاءـ وـالـاـحـدـاثـ تـتـمـشـيـ دـائـيـاـ مـعـ الـاـنـمـاطـ الـمـحـدـدةـ الـتـىـ

جـمـاعـةـ بـعـينـهاـ . اـمـاـ العـنـاـصـرـ الـمـبـتـكـرـةـ فـتـمـثـلـ فـيـ الـكـلامـ وـالـلـغـةـ بـعـنـاـصـرـ الـاـنـسـانـi Langage ظـاهـرـةـ عـامـةـ تـظـهـرـ فـيـ هـذـيـنـ الـمـنـصـرـيـنـ مجـتمـعـيـنـ . وـالـلـسانـ - اوـ لـفـةـ جـمـاعـةـ مـعـيـنـةـ - مـجـمـوعـةـ مـنـ الرـمـوزـ يـتـلـقـاـهاـ الـفـردـ مـنـ الـجـمـاعـةـ الـتـىـ يـعـيـشـ فـيـهاـ عـنـ طـرـيقـ السـمـاعـ . اـمـاـ الـكـلامـ فـانـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـاـصـواتـ الـتـىـ تمـشـلـ نـشـاطـ الـفـردـ باـعـتـبارـهـ مـتـكـلـماـ . وـوـحـدـةـ الـكـلامـ الجـملـةـ اـمـاـ وـحدـةـ الـلـسانـ فـمـىـ النـمـطـ . وـمـنـ ثـمـ فـانـ الـلـسانـ لـيـسـ مـجـرـدـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـرـدـاتـ وـلـكـنـ بـصـفـةـ اـسـاسـيـةـ نـظـامـ يـشـملـ الرـمـوزـ وـالـاـنـمـاطـ وـعـلـىـ الـبـاحـثـ اـنـ يـحاـوـلـ بـلـورـةـ هـذـهـ النـظـامـ بـوـجـانـهـ وـبـعـلـاقـاتـهـ الـمـتـكـالـمـةـ .

وـقـدـ حـاـوـلـ دـىـ سـوـسـىـ اـيـضـاـ اـبـصـارـ الطـبـيـعـةـ الرـمـزـيـةـ لـلـغـةـ ، فـالـرـمـزـ اللـغـوـيـ دـالـ Signifiant يـشـيرـ مـضـمـونـ يـدـلـ عـلـيـهـ Signifié وـهـدـفـ الـبـاحـثـ اـنـ يـتـبـيـنـ عـنـاـصـرـ الدـالـةـ الـمـخـلـقـةـ مـكـشـفـاـ قـدـرـتـهاـ الرـمـزـيـةـ . فـالـلـغـةـ عـنـدـ دـىـ سـوـسـىـ هـىـ ذـلـكـ النـظـامـ الـمـسـتـقـرـ عـنـدـ الـجـمـاعـةـ كـلـ الـذـىـ يـمـكـنـ تـبـيـنـ عـنـاـصـرـهـ مـنـ الـظـواـهـرـ الـلـغـوـيـةـ الـمـاتـحةـ .

نظـرـيـةـ الـاـنـمـاطـ الـجـامـدـةـ :

وـمـنـ جـهـةـ اـخـرىـ ، فـقـدـ كـانـ وـالـتـرـليمـانـ مـنـ الـسـرـوـادـ الـاـوـالـىـ فـيـ درـاسـةـ الـاتـصالـ الـجـماـهـيرـىـ ، الـذـيـنـ اـفـادـواـ مـنـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ ، فـذـهـبـ اـلـىـ اـنـ الـانـسـانـ مـخـلـقـ مـحـدـودـ الـاـدـراكـ ، فـهـوـ لـاـ يـسـتـطـعـ اـنـ يـفـهـمـ الـعـالـمـ اوـ يـتـصـورـهـ بـمـجـرـدـ مـلـاحـظـتـهـ ، وـاـنـماـ يـتـائـىـ فـهـمـ الـانـسـانـ لـلـعـالـمـ الـذـىـ يـعـيـشـ فـيـهـ عـلـىـ مـرـاحـلـ مـنـ النـفـجـ وـالـتـطـورـ وـالـحـصـولـ عـلـىـ الـمـلـوـمـاتـ .

فـالـعـالـمـ الـمـوـضـوعـيـ الـذـىـ تـنـعـامـلـ مـعـهـ سـيـاسـياـ وـاـقـتـصـادـياـ وـاجـتـمـاعـياـ يـقـعـ خـارـجـ نـطـاقـ اـحـسـانـاـ ، وـخـارـجـ حدـودـ بـصـرـنـاـ وـعـقـلـنـاـ .

وـبـرـىـ لمـيانـ انـ المسـائلـ الـعـامـةـ كـالـسـيـاسـةـ وـالـحـكـمـ وـالـتـرـبـيـةـ وـالـاـنـتـخـابـاتـ وـالـاـصـلـاحـاتـ وـغـيرـهاـ ، تـتـأـثـرـ بـهاـ يـصـدـرـهـ النـاسـ مـنـ اـحـکـامـ نـابـعـةـ مـنـ الصـورـ الـذـهـنـيـةـ الـتـىـ يـكـونـونـهاـ عـنـ انـفـسـهـمـ وـعـنـ الـآـخـرـينـ وـهـذـهـ هـىـ آـرـاؤـهـمـ اـمـاـ الرـأـيـ الـعـامـ فـيـتـكـونـ مـنـ حـصـيلـةـ هـذـهـ الصـورـ الـمـشـرـفةـ فـيـ رـؤـوسـ الـجـماـهـيرـ ، وـهـوـ القـوةـ الـتـىـ تـسـمـيـ اـجـهـزةـ

مرتبط بالنظام اللغوي قيد الدراسة ، فكل لغة نظامها الفونولوجي الصوتي .

وقد أوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات اى علم من العلوم هي رموز لا قيمة لها الا في اطار نظام نظري متكامل وان المصطلحات والمفاهيم لا تتحدد قيمتها الرمزية داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكميل .

اللغة والانساط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوي في مكاناته على بعض الوحدات الصوتية ، ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنتظم هذه الوحدات ، ولكن لغة نظامها الصرف الخاص بها ، على ان البحث الصرف الاعلامي يهدف الى تحديد الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة انواعها وانماطها المختلفة ، وعلاقتها في النظام اللغوي ، من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة ، ومن حيث اسهامها هذه الانماط في اللغة الاعلامية التي ترمي الى التبسيط والتبسيط . لأن المقلية الجاهيرية ترکن الى الاستعانة بالرموز والانماط والنماذج والتجسيد ، فاللغة الاعلامية لا تختلف من كلماتها الا منتظمة في انماط تتحذّلها الجملة ، وهنا تظهر دراسات اللغوي الامريكي شوسكي في بناء الجملة والتي تذهب الى ان النظم اللغوي ليس المجموع الحسابي لما سجل من عبارات ، بل هو شئ مجرد له وجوده الفعال وغير الواقعى لدى افراد المجتمع اللغوى وهدف النظم اللغوى هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفي بل عليه ان ينطلق من المادة المتأحة ، لوضع فروض حول انماط الحال المكثة ، ثم تختبر هذه الفروض في ضوء الواقع اللغوى .

اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيأ النهوض الدراسي بالاصوات ، والمجات الشعبية ، وعلم النفس اللغوي الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها ، فقد بذل الباحثون في علم الدلالة جهدهم للوصول به الى مناهج البحث العلمي . فاهملوا الابحاث الفلسفية التي لا تؤدي الى نتائج مبنية . وعملوا على استخدام التجارب الفعلية كطريقة التجارب وقياس الغابر على الحاضر والموازنة والاستبانت المبني على اسس سليمة . وقد اثمرت هذه

تصبها البيئة الثقافية في نفوس الجماهير ، ولا يلبث الانسان ان يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التي تصبج بمثابة المرشحات التي تصبغ لون المثلثات والانماط ضرورة هامة للادراك والمعرفة ، ولا يمكن الاستغناء عنها .

وتتساعد هذه الانماط على تأكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا ، وتعصبنا لمركزنا الاجتماعي والادبي ، ونقول دائمًا هذه الانماط شئ طبيعي .

اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر لميان المجال امام دراسة الاتصال الاعلامي دراسة علمية منظمة ، وخاصة من ناحية تأثيرها في اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكياتهم . فتوفر فريق من العلماء ذوى الاختصاصات المتعددة على هذه الدراسات ، وكان من بينهم متخصصون في علوم الحيوان والاقتصاد والرياضيات واللغويات ، والتاريخ والمنسقة والتشريح .

وتخضت هذه البحوث جمعيا عن كتاب صدر سنة 1957 بعنوان « الاتصال الانساني » يتبعه الى دراسة المخ البشري ، على اعتبار انه مركز الاتصال والسيطرة عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات للعمليات النفسية كالذكرا والانتباه والادراك وغيرها ، كما درست اللغة من ناحية التعبير عن المعلومات ونقلها . وتنشرعت دراسات في الموسيقى والفنون ، ودراسات في الكلام ومشكلات النطق ، وبحوث مستفيضة حول الشائعات وعلم الدلالة .

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات ، الذي وجه الباحثين الى دراسة اللغة نظام رمزي . وكان للباحث الروسي تروبيتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجي » وتطبيقه تطبيقات ناجحة ، فقد اتجه البحث الصوتي قبل تروبيتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة شريحية - فيزيائية ، فانصرف جدهم الى الصوت نفسه دون النظر في طبيعته كجزء من نظام رمزي متكامل . وعند ما بلغ تروبيتسكوى نظريته في الوحدة الضوئية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب الآخر . وعلى ذلك يكون المعنى وتغيره او عدم تغيره فيصلان في التمييز بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية ، وهذا

يستعملها المشتغلون في الاجمزة الاعلامية ، بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص في اللغة الاعلامية بمستواها العلمي الاجتماعي ، باعتبارها كياناً خاصاً متفرد الملامح والسمات ، مستقلاً عن اللغة بمستوييها التدويني الفنى الجمالى ، والعلمى النظري التجربى ذلك ان اللغة الاعلامية ، لا تهدف الى مناشدة حاسة الجمال لدى القراء ، بل على العكس من ذلك ، تتضمن اتصالاً ناجحاً أساسه الموضوع والمسؤولية .

وقد قال هيربرت سبنسر ذات مرة : « ان لدى القارئ او المستمع في اي لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير الرموز المعروضة عليه والتي تتطلب جزءاً من طاقته الذهنية ، اما ترتيب وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءاً اكبر من المقدرة ، والجزء الباقي يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها ، اما الطاقة الذهنية الاقل حيوية فهي لفهم هذه الفكرة » .

ويمكّنا بالاستعارة تشبيه اللغة بـ« سيارة او حافلة الانكار التي يكون من الطبيعي ان الاحتكاك والقصور الذاتي في كل احوالها يحدان من كفافتها ، والهدف الاساسي في الموضوع . وهو ليس الهدف الوحيد ان نقلل من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة » .

على ان المنهج الاعلامي في اللغة ، يستخدم طرقاً عالمية يشتراك فيها مع غيره من البحوث اللغوية ويستخدم كذلك طرقاً خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التي يعرض بدراساتها – كما سترى – وهذه الطرق جميعاً انما هي من ثمرات البحث الحديث . لأن اللغة الاعلامية ليست بعثاً لنظريات قديمة ، او عرضاً لنتائج العلوم التطبيقية على المجال الانساني ، ولكنها افادت من ذلك جميعاً طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو من الرواد الذين فطنوا الى وجوب البحث في التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكي يساير المجاء مقتضيات الحياة ، ولكن يصور في الوقت نفسه الموضع اللغوى ، والذى لا تحكى الحروف المجازية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبسيطى ، ولا بد من الوصول الى رموز ، في حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصور ذلك الواقع اللغوى ، ولا بد في الوقت نفسه من الانتقاء على الاختزال ، افاده من الوقت الضائع سدى في الاملاء والتلوين والطباعنة .

الدراسة واتجهت في اتجاهات عدّة لبحث الدلالة الصلانية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية . ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالاً بمناهج البحث الاعلامي ، حيث يفيد في كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة ، بحيث تنتقل المعانى كاملة ودقيقة ، كما يفيد هذا العلم في دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتثوير ، ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل ، ولیامنوا شرها ، ويجربوا الناس خطر الزلل والانزلاق .

اللغة والبحث الاعلامي :

قد اثبت علماء الدلالة ان الانفاظ تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، كما ان اختيار الانفاظ هو الذى يساعد على التحكم في اتجاهات الناس وتصرفاتهم ، ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات ، وتقويم الآراء لكتاب التأييد ، وتبسيط الشعور عن طريق الوعى والتنوير ، مما يؤدي الى تصرفات اجتماعية سليمة ، فإن نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التي يفيد منها هؤلاء الخبراء .

اللغة والبحث الاعلامي :

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق منهجه في تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة ، بحيث أصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجماهير يطبقون الاسس النهجية للتحليل اللغوى او تحليل البنية اللغوية في بحث عطيات الاتصال بالجماهير المختلفة ، فبدا التمييز بين الدراسة الومضية للبنية وبين الدراسة التطورية لها ، وتوصوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه في اطار المجتمع . واخذ الباحثون في الاتصال بالجماهير وبحثون في اللغة باعتبارها عنصراً اساسياً في عملية الاتصال الاعلامي .

فاللغة ادنى هي العروة الوثقى التي جعلت الاتصال عملية اجتماعية ، وهي التي تحدد الكيان الاجتماعي للاتصال الاعلامي ، او اضطرابه في مواجهة المعايير التي يفرضها المجتمع في المظهر والسلوك وعلى ذلك كان منهج البحث الاعلامى في اللغة ، انما يهدف الى البحث في ماهية اللغة ، من حيث كونها اداة اتصال

الفصل الثالث

اللغة في ضوء البحث الإعلامي

المناسبة لوضع التحليل ، كما يعني ان يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية ، او فرض لغوى يمكن من خلال التتحقق منه ان يكون لنتائج تحليل اللغة الإعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد .

ويعني الأساس الكلى للمنهج الإعلامى انه من اكثر الخصائص تميزاً للمنهج الإعلامى في اللغة ، مما يميزه عن المنهج اللغوية الأخرى . ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عدديّة لفئات التحليل ، اذ يتخذ التقرير أحياناً شكل كلمات كمية .

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطاً ضرورياً لتماسك المجتمع ، إنما تقع في كونها من جهة ضرباً من السلوك البيولوجي الخصيص بادى المعانى ، ناشئًا تلقائياً من المنشئ المضوئي الاولى ، وفي كونها في الوقت نفسه — من جهة أخرى — تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ان يتلزم بوجهة نظر سائر افراد الآخرين وان ينظر الى الامور ، وان يجري عليها البحث من زاوية لا تقتصر على مردديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم ، باعتبارهم شركاء او اطراً متعاقدة ، ان شئت فمَى مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصراً من عناصر الوجود الفعلى الذاتي هو الموجه والمهدى لنشر اللغة . ولكن الذي لا شك فيه ايضاً ، انها تم اول ما تم شخصاً آخر — المستمع «المستقبل» — او اشخاصاً آخرين ، يوجه اليهم المتكلم «المرسل» الحديث ، فوسيلة التفاهم بين المرسل والم المستقبل تقييم شيئاً مشتركاً ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة و موضوعية (52) . وعلى ذلك ، فإن لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة ، بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والإشارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هي وسائل للتفاهم .

اي وسائل اعلامية :

اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما في اللغة من معلومات وتقويم دقتها على أساس كمى بالارقام ؟

تحتل اللغة موضعها رئيسياً في عملية الاتصال الإعلامي ، التي تسري في كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز ، على اعتبار ان الرسالة الإعلامية من اهم عناصر عملية الاتصال الإعلامي ببعادها النفسيّة والاجتماعية والتثقافية .

واذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال في : (من ، يقول ماذا ، لمن ، وكيف ، وبأى تأثير) فان اهم عناصر الاتصال يتمثل في «اللغة» او «الرسالة الإعلامية» ولما كانت «الرسالة» تمثل الوسائل التي يتصل من خلالها فرد بأخر او جهة باخر ، فان بحوث الاتصال تعنى بوصف هذه الرسالة بثقة وان تفسر ب بصيرة ثانية .

ولقد انفق العلماء جهوداً مضنية ووقتاً طويلاً ، في بحوث الرسالة الإعلامية من حيث كتابتها وتحريرها ، وفنون صياغتها حتى انه يخلل للمرء ان زاوية الرسالة هي الزاوية الوحيدة التي شغلت الباحثين دون الزوايا الأخرى . غير ان الموقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم ، فهو موقف سلوكيّة تقدم فرضاً مضطربة ومترابدة للمشاركة في الخبرة ، وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم وافتراض الفروض بشكل عام ، للسيطرة على البيئة من خلال استخدام الرموز (51) .

والمنهج الإعلامي في اللغة انما هو اسلوب علمي يستخدم لوصف عملية الاتصال الإعلامي ، وصفاً موضوعياً منظماً على اساس كمى للمضمون الظاهر للاتصال اي لجموعة المعانى التي تظهر من خلال الرموز المستخدمة في عملية الاتصال . فهو ادنى منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة في عملية الاتصال الإعلامي بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لتحليلين مختلفين ان يطبقواها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج .

اما التنظيم الذي يقتضيه المنهج الإعلامي ، فيعني تحويل الرسالة الإعلامية على ضوء حصر كل الفئات

(51) د. ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماصير » — ص : 135 .

(52) مجلة « اللسان العربي » — العدد : 3 — ص : 55 — الرباط — 1375 هـ .

وكيف تفرق بين اصوات او حروف تعطى قدرًا كبيرا من المعلومات واخرى تعطى نزرا يسيرا؟

ذلك المنهج الاعلامي في اللغة هو موضوع نظرية الاعلام . وهي نظرية حديثة ترتكز على اسس رياضية راسخة . وقد وضع اساس هذه النظرية العالم الامريكي « كلود شانون » عام 1949 ثم ما لبث ان تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين في مختلف ميدانين الفكر والبحث العلمي : علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلسفه وعلماء النفس . وتقوم هذه النظرية على اساس ان اللغة هي « شفرة » . اى نسق اصطلاحى من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامي .

وحجا الزاوية الاعلامي الرياضية هو مفهوم عدم التحدد اي الفموض . فان اي مجموعة من الحروف سطرها او اي مجموعة من الوحدات الصوتية « الفونيمات » تطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديدتها . فقد تكون ذات معنى ، وهنالا يزول عنها عدم التحدد ، وقد تظل بلا معنى فيكتفى بها الفموض او عدم التحدد . ومعنى ذلك انه للكشف عنها يكون هناك من معنى او لقياس حجم المعلومات في جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولية الحروف الابجدية ، ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد في اللغة ، والحرفين والثلاث .. الخ ، واحتمال تجاور حرفين معا والثلاثة حروف الخ . ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى . فحروف الابجدية هي الذرات او اللبنات الاولية التي يتألف منها بناء اللغة في شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل . ولكن الملاحظ – كما يقول كوندراتوف – ان معظم الحروف المفردة في اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوى من الحروف يحمل معنى ، وهذا هو ما يسمى بخاصية النضل في اللغة اي الافراد او الزيادة في الاقتصاد .

فاللغة العاديه ليست كلغة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى ، فحرف (ا) في الكيمياء يعني الاكسجين بينما لا يعني شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحى ، غبيدو كانه فضلة او زيادة لا ييرزها الاقتصاد . وكذلك الحرفين (اب) قد تعنى (اب) ، و (ام) تعنى (ام) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على ان هذه الزيادة في اللغة والتي لا ييرزها

الاقتصاد تقتضيها الضرورة ، فهي « حد الامان » . وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل في كل لغات الانسان العاديه تتراوح ما بين 70 و 80 % وتزيد هذه النسبة في لغة الفنون المتخصمه ، وذلك لأن حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصمه ايسر من القراءة الشامله ، او انها انقر منها لغة وتقل هذه النسبة في لغة الادب ، ذلك لأن الادب فيه تلوين وتصوير وثراء وخیال .

ومن ذلك يبين ان احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة في الكتابه او الكلام ليست احتمالات متساوية ، كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة . ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ، ثم دراسة احتمالات تجاور كل حرفين على حدة وكذا كل ثلاثة حروف واربع ... الخ .

واحتمالات التواصل بين الكلمات والجمل ، واحتمالات تجاور الحروف المتحركة والساکنة وقواعد النحو والبناء اللغوی .

ولكن اللغة ليست فقط حروفها متجاوحة وكلمات بينها فواصل ، بل هي اشارات لها ما وراءها ، اي لها مدلول او معنى ، فاي بناء لغوى فارغ من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفه الاصيله للغة وهي التفاهم او نقل المعلومات اي واقعيتها . ويختلف معيار التحقق من اللغة هل هي ذات معنى ام لا باختلاف ميدان استخدامها ، فالتجربة هي معيار الحكم في العلوم الطبيعية ، والنهم المشترك معيار الحكم في اللغة العامة بين الناس كما انه معيار الحكم في لغة الاعلام .

وتأسيسا على هذا الفهم تعنى نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات التي يمكن لغة الانسان ان يستقبلها ، ويقتضي ذلك دراسة معدل الوارد من المعلومات الى المخ في وحدة زمنية معينة وهو ما يسمى بسعة الجهاز العصبي او طاقته . ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من اعضاء الاستقبال الحسى وكتابتها في الاستجابة ووجه الاختلاف والتباين بين كل منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبي في الاستقبال والاختزان للمعلومات ذات المعنى سواء في مجال الحديث الشفاهي او القراءة او السرعة اللازمة .

الاتصال الانساني ، يعطى للمرسل نكرا عن استجابة المستقبل للرسالة او رفضه لها (55) . ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لمبنية الاتصال يصور فيه :

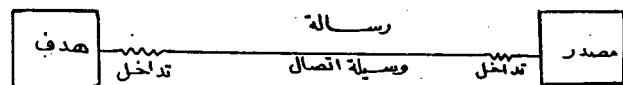
اولا : المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر ملحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثاني هو التعبير عن الفكرة وصياغتها في رموز تكوين الرسالة او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذي ينطوي رموز الرسالة ، كما تتناهيا الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ورجم الصدى الذي قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية . واذا وصلت هذه الارجاع ، ونشرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل ، وتتكرر هذه الدورة — بطبيعة الحال — الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية ، هي تسييج البناء الاجتماعي والثقافي نفسه .

ومن جهة اخرى يذهب علم « السيموطيقا » او نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية اي متواضع عليها بين الناس وكونها تستلزم وجود عنصرى المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعى والادراك المقصود ، لان وظيفة الاشارة اعلامية اي نقل المعلومات . اما العلامة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة .

ويميز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة انماط من العلاقات ، علامات دالة « علامات التطابق او العلامات المchorة » وتنقسم بـان المعنى او المحتوى والصورة الخارجية او التعبير متطابقان ومتماضيان ، والنقطة الثالث علامات الاتصال او الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والتفيق لهذه الكلمة . و اكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هي من هذا النقطة على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكون ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا في اطار هذا النسق دون غيره . والاشارات او اللغة

وتختلف هذه النسب ايضا على اساس الخصائص الفردية للانسان وحالته المضوية والنفسية ودرجة التدريب ، الخ . (53) .

وترتكز نظرية الاعلام عند « شاتون » على ان عقل المصور هو المتبوع ، وان المرسل يستخدم اللغة والإشارة لنقل الرسالة ، فيتلقاها المستقبل ، ويفيد بها بمعقله وهو الصب او الهدف . يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه النظرية لعنصر التداخل والتشوش ، الذي يعمق عملية الاتصال الاعلامي وقد ينشأ التداخل من المرسل او الرسالة او الوسيلة او المستقبل ، معتقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتداولة من المصدر الى الهدف . ويمكن ايضاح ذلك بقولنا ان حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير ، تعتبر تدخلا في الاتصال الصحنى كما ان سوء الاضاءة ، وعدم ارتياح البترى لاسباب صحية او نفسية ، قد تعمق النهم ايضا وتعتبر تدخلا . ومن الابتلة على ذلك ايضا ، دق جرس الهاتف أثناء الاستماع الاذاعى او حدوث ضجة مفاجئة ، وكلها تمثل نكرا للتشوش او التداخل . ولا بد للاعلامي الناجح ان يدخل هذه الامور جميعا في اعتباره . وقد يكون العيب في ارسال التلفاز او الاذاعة نفسه ، او عيب او مرض يعتري المستقبل . ويمكن تصوير التداخل هكذا (54) :



وقد يعالج التداخل بالاعادة او التكرار حتى تتساوح الفرصة للمستقبل لتلقى الاشارة ، غير ان المرسل يراعى تجنب التكرار المل البطنى كما يتتجنب الاسراع الشديد . ويعتبر مفهوم رجع الصدى من الفاهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية ايضا . وتعتبر هذه الارجاع اختبارا لسلامة الدائرة ، او ما يصيّبها من اعطال . وبينس الطريقة نجد ان رجع الصدى في

(53) المراجع السابق .

(54) الدكتور ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 143 .

(55) ايضا المراجع السابق — ص : 143 .

في عمومها سواء كانت الفاظاً أم حركات لها شكل ومعنى أو وعاء ومحتوى . وقد يتفق الشكل ويختلف المعنى ، وجواهر اللغة في معناها اساساً (56) .

ويقرر علماء « السيميوطيقا » (57) ان لغة الاستعمال المنطقية هي نسق من الاشارات نشأ في المجتمع وللمجتمع الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التناهـم . فلغة الكلام الشائعة ليست كما تبدو في ظاهرها لغة بسيطة . انها تبدو لنا كذلك فقط لأننا تمثّلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكمنا في قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعنى وادرارك طبيعية العملية ، وان كان هذا هو ما يتوفّر لنا بعد ذلك في سني الدراسة بالدراسة حين نتعلم القراءة والكتابة .

أن لغة الانسان نسق اشارى باللغة التعقيد ، قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعي المطلق وهو ما لا يتأتى من اي نسق اشارى لغير الانسان . ومن ثم فهى لغة اكثر ثراءً وغنى واكثر انتصاداً . ويرى علماء السيميوطيقا انها أصبحت كذلك لأنها لغة ارتقائية .

ونخلص من ذلك ، الى ان اللغة تميز على غيرها من الرموز والنظم الاشارية بأنها في متناول الجميع ، وهذا يميّزها عن العلم والفن او الابد اللذين يتطلبان تدربياً خاصاً ، فالعالم رموزه وصيغه وارقامه في علوم الطبيعية والرياضيات والكيمايات والفالك . المنطق وغيرها ، ولا يمكن فهم الرياضة الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريب خاص .

اما اللغة العملية ، اللغة اليومية ، اللغة الاجتماعية ، لغة الفن الاعلامي فمتاز بالشمول كما أنها لغة طبيعية تتعلّمها منذ الطفولة ، في حين ان لغة العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التي لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات من الماران والتدريب (58) .

اللغة الاعلامية :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوی : اولها

(56) المرجع السابق .

(57) د . ابراهيم امام : « دراسات في الفن الصحفى » - ص : 40 - القاهرة 1972 م .

(58) Imam, I. "The Language of Journalism" (1969)

(59) د . احمد ابو زيد : مجلة « علم الفكر » - العدد الاول بالمجلد الثاني - 1971 م .

(60) « اللغة بين القومية والعالمية » - ص : 33 .

الحريري في مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المتراوحة، وليس على من يريد ان يكتب في موضوع الا ان يأخذ بنصيحتها .

ومن جهة اخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة متراوحة بحيث لم يعد التراويف في ذلك المصر مزية من مزايا العربية واصبح مرضيا من امراضها الوافدة المنتشرة ، وغلب على الناس استعمال الالفاظ في معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التي عرفت بها العربية في عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربي الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها واصبحت عالما مستقلا يعيش الناس في جوه بدلا من ان يعيشوا في الحياة ومعانيها (62) .

وصنفة القول ان الخصوصية السياسية والخصوصية الفقهية والخصوصية السلبية والمصنعة المتكلمة في الادب كان لها جيئا اثراها في اللغة وانعكاس اشعتها عليها مكان اللغة في تلك العصور صفات هي الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هي اعراض رسمية مصطنعة متراكمة ، يصبح المجتمع المريض والحضارة المختلة . وقد حدث ذلك في العصور الوسطى في اوروبا كما حدث في انجلترا في مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا في مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة ان يكون ظهور اول محنى مصرى وهو رفاعة الطهطاوى في عصر محمد على مهتما بنهاية علية ، والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (63) . فقد كانت اللغة الموروثة التي كانت تؤدى اغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد في تلك العصور من جحود وضيق في الانف ، وحملت الحياة الحديثة في اوروبا الى العرب آلات جديدة وانكارا جديدة ومشاعر جديدة ، حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب

الادبية ، ولكننا نلحظ ان اندر النويرات واروعها هي تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية او تعهد .

على ان جذور اللغة لا تعمق الا في التربية العامة التى منها تستمد اللغة عصيرها وغذيتها ، هذا اذا قدر لغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى . فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الدب ، وتصبح اشباه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها وأشكالها بواسطة سلطة عليا كما هو الشأن في الجامع اللغوية باوروبا ، فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبي ، وقد يفرض التصوصى الذى يجب ان تعلم في المدارس ، ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائج في الاسواق ، وعلى الخطاب العادى في البيوت وبين افراد الاسرة (61) .

وقد حدث هذا لاوربا في العصور الوسطى عند ما كانت اللغة اللاتينية مستاثرة بالدراسات الادبية ، وبينما كانت اللغات الاجتماعية محترفة ومنبوذة ، لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت في عصور مظلمة ، وبأيات تتردى في الجهل والتبعية والتآمر والتباذل . وفي الوقت نفسه ، سادت في العالم الاسلامى آداب رفيعة ، وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكماء والمحكمين ، مستعملة في الآداب والعلوم وفي الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفرزة ، كما كانت في اوروبا بين اللاتينية والإنجليزية او الالمانية مثلا ..

وقد كانت اللغة العربية في اتعس ايامها واحلك عصورها — في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر — تعانى من الانقسام العقلى في المجتمع ، حيث سادت لغة ادبية منقحة متلخصة كتقليد سخيف للطريقة الفاضلية في الكتابة ، عقيمة مصطنعة لم يالنها الشعب ، اما اساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامع ان يقلد الكاتب اسلوب

(61) المرجع السابق — ص : 23 .

(62) محمد المبارك « خصائص العربية » — ص : 6 .

(63) د. ابراهيم امام : « دراسات في الفن السعفى » — ش : 44 .

والتفيير والتوجيه والتسويق والامتاع والتنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فلفة الفن الصحفى تختلف عن كل هذه جيئا لأنها تتضمنها كلها ولا تقتصر على اي منها ، لأن القراء او جمهور المستقبلين ليسواقطاعا واحدا من الناس ولكنهم في الغالب كل الناس ، ولأن الصحفى يكتب لكل الناس في كل الاوقات – وليس جزء من الناس في كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت – فإنه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع (65) .

وليست على هذا الاساس ، البيئة التي يحيا فيها الانسان ، يعمل ويبحث ماديا فقط ، بل ثقافيا كذلك . تأثير الانسان وكيفية ادائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوى لجسمه فقط ، بل البيئة والانسان يتاثران كذلك بمؤثرات الثقافة في التقليد والنظم الاجتماعية والعادات والأهداف والمعتقدات التي تحملها الانماط اللغوية في طيبها وتوحي بها .

وال المشكلات التي تبعث على التعمى والبحث حول الرسالة الاعلامية أنها تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ، ولا تقتصر الاعضاء التي تختص بهذه العلاقات ، على العين والاذن والسان ، بل من أدواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة ، مضاناً اليها وسائل التكوين الثنائى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقعاً ساكناً او جامداً ، وإنما هو عملية دينامية متحركة ، بحيث تحصل – اللغة – في مركب العناصر التي يتالف منها المحيط الثقافي للعملية الاتصالية ، مكاناً ذات دلالة خاصة وهي تؤدى وظيفة ذات خاصية ايضاً وهي في حد ذاتها نظام اعلامي ، وهي : الاداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة ، كما تتغلغل الانماط خلال الصور ومضوناتها في آن واحد ، وتتميز بتركيب خاص بها لـه قابلية التجدد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة ، فاللغة بهذا المعنى، هي الوسيلة التي تنتقمصها الثقاقة وتبقى وعن طريقها تنتقل ، وهي ذلك التدوين الذي يديم بناء المواريث ، ويجعلها في متناول الناس عاماً لبحثها من جديد ، ومن جهة أخرى ، فإن الافكار او المعانى لا وجود

لنشاط الانسانى في الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من الوازن وصور جديدة ، فقادت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلقتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاعة بين الامرين عسيرة صعبة وكان ينادي بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاضطلاع به فكان على جمال الدين الافغاني ويعقوب صنوع والشيخ محمد عبد ومصطفى كامل وأحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الاوروبية ان يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التي تقترب من لغة الادب ، وتمتاز بالسلسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهد بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنوع في وسائل الاتصال الصحفى بالصورة التوتوغرافية والمصورة الكاريكاتورية ، والمنابع بالاخبار الثانية . وقد تطلب ذلك استخدام لغة محبحة تتلامع مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط ، دون ان تهبط الى العامية في النطق ، او السوقية في الفكر (64) .

وهكذا تتقرب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية ، لأننا كلما نزلنا في سلم التطور الحضارى للمجتمعات ، وجدنا فروقاً شاسعة بين المستويين – الادبي والعلمى للغة .

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى ، تقوم على الوظيفة المادنة والوضوح والاشراق ، وتؤكد تكون فناً تطبيقياً قائماً بذاته . فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولفتحه ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافي من علم وفن وموسيقى ومن تشكيلى ، الخ .. هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد وال الموضوعات العامة . ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والانكار اليهم ، فهو اداة وظيفية وليس فناً جمالياً لذاته . ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام

(64،65) المرجع السابق – من : 45 .

مواصلة واتجاه ، وأما تحديد لسلوك ، فردي أو جماعي ، فالكلمات كالوراق التقنية والأسلحة او الخاتم السحرى في يد الإنسان ، يكتبه ان ينطق ليحدث شيئاً في شعوره ، ورد فعل شعور الآخرين ، ومن هذا التجاوب الشعورى ، يتنبع صدى يحرك الطبيعة الخارجية ، فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احياناً فساداً ، واحياناً اصلاحاً . وإذا لم يتسبب عنده شئ محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين ، او عند متلجم آخر ، مرة اخرى ، فالكلمة كالدرهم الذى يحتفظ بقيمتها التوالية سواء انتقل الى باائع او الى مشترٍ ، او لم ينتقل : « ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كثمرة طيبة طيبة » (68) .

فالبحث في الكلمات من حيث تركيبها المادي ، ومدلولاتها المحسوسة ، وأثارها النسائية ، يلتقي في ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاعلام او الاتصال بالجماهير ، وحول المعرفة .

ومن هنا كان التأمل في اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة جرارات وعلامات واسارات ورموز اخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة في نفس الوقت ، مادة للبحث واداة له ، اذ ان العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية ، اى ليست علاقة تجاور في المكان او تصاحب في الزمان ، بل هي علاقة داخلية ، بمعنى ان الفكر ليس قبل الكلام ولا هو « خارج » الكلام اى ما هو في الكلام . ولكنك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامي ، اى أنها هي داخله ، تصوغه وتحدد بقدر ما تقيمه وتشكله .

فاللغة ليست شيئاً خاماً بفرد ، بل ملكاً مشتركاً ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات ، وبين ابرازها « كأحداث » بين المعنيات والماديات ، بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لنظر العقل واللغة ، او « النطق » و « القول » في اليونانية كما اشار التارتارى . والفلسفة الرواقيون كانوا يرون - كبعض الفلسفه المعاصرین - ان الفكر واللغة متطابقان ، وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات

لها الا في رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية ، وبذلك تشكل تلك الرموز ، نوعاً من البقاء الضروري لوجود الاشياء المروّز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي عنها (66) .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم الداخلي النسائى والعالم الخارجى ، تتجسم في التعبير المختلفة التي توجد بوجودها ، وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها ، وبما ان الموضوع والذات ، اى المفهوم والنافع ، يلتقيان في الشعور الفردي ليتحققتا ، كان لزاماً على الدراسات النفسائية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة من تبقى (لأن لها نماذج وقواعد متفقة عليها) ولكن حقيقتها تندرج في حقيقة تاريخية ، التاريخ النكرى والنفسي والصناعي والجغرافي للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة ، ونقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعاً ، ولكنه حق يسترسل من الحاضر مع التاكيد بأن الحاضر لا ينحصر في الحال ، بل هو ما يعبر عنه النحوين « بالضارع » اى الحال والمستقبل ، لأن ما يقوم به الانسان في الحاضر اى ما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر ، فالمستقبل ليس البعيد كما ان الحاضر ليس منحصراً فيما قد حضر ، حاضر ليس وصناً لحالة ، بل اسم فاعل ، اى انه الزمن الذي يقع فيه فعل فعلياً (67) .

فالحاضر يختلف عن الماضي ، لأن الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ، ولما يبق الا في اشارة او في ذاكرة . ويختلف ايضاً المستقبل لأن المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الأمل .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسنها ومصطلحاتها كى يفهم ، فالكلام اداة للتناهم ، لا غاية في ذاته . ان المرسل يرمي من وراء الكلام ان يتم المستقبل انه يريد توافقاً .

والإنسان هو الحيوان الذى يتكلم ، اى يصنع العلم باللفاظ ، فتصبح كل لفظة اما مفتاحاً لفهم او اداة

(66) مجلة « اللسان العربي » - المغرب - الرباط : 1385 هـ .

(67) مجلة « اللسان العربي » - المغرب - الرباط : 1388 هـ .

(68) د. عثمان امين : « الفلسفة الرواقية » - ط 2 القاهرة 1959 - ص 119 - 120 .

المعاقبة التي تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلق، والتي يستطيع نمثها الإنسان أن ينطق بها ، كما تستطيع الكتابة أن تمثلها ، فان مثل هذه الأصوات قد لا يكون لها معنى ما ، ومن ماهية اللغة ان تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملحوظ : فهناك « كلام داخلي » نفسي يكفي لاستعمال الفكر، وليس « الكلام الخارجي » الملفوظ سوى ظاهر من مظاهره .

اللغة هي « الواسطة » العظمى والصغرى في الغياب وفي الحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون

اللغة تعبر « الا أنا » ونداء للآخرين ، اي دعوة ودعاء ، فالماء يعطي كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ويعيد سلوكه ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل لا كلمة له ، رجل ينقصه الضمير ، يعني ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير ، الى مستوى العناصر « الانطولوجية » ، ربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (69).

ان اللغة — داخل هذا الاطار — تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع ، لأنها اهم وسيلة يلجأ إليها ليتم التفاهم بين الأفراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والأدبية والفنية .

وهذا يعني افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة او الثقافة .. ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا وصادقا من المفاظ ومصطلحات اللغة السادسة في المجتمع الذي توجد فيه . فمفردات اللغة والاساليب والتصورات وبناء الجملة والتركيب اللغوي والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك في المجتمع الصناعي الحديث الذي يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور اعضائه بغيرتهم الذاتية ، تختلف اختلافا جذريا عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها في المجتمع البدوى القبلى الذي يعيش

(69) مجلة « دعوة الحق » — العدد 5 — السنة السادسة — 1382 هـ المغرب .
 (70) مجلة « عالم الفكر » — العدد الاول — المجلد الثاني — 1971 م الكويت — من : 13 .

(71) المرجع السابق ايضا .

Whitehead, A.N. "Modes of Thought"

ولا يتأتى هذا التعاون الفكرى ، الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العلمى الاجتماعى .

فاللغة الاعلامية اهم مظاهر للمحافظة على كيان المجتمع ، موحدة الغايات والمبادئ تدعى الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والاقوال ، وعنصر الوجود المختلفة تتجسد في صورة لفظ واحد مشترك ، يسدى على هذا الشئ او الفعل (74) ، وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

تطبيقات النهج الاعلامى في اللغة :

وتأسسا على هذا الفهم ، فان النهج الاعلامي في بحث اللغة ، يسهم في الكشف عن اساليب الدعاية عن طريق تحليلها الى فئات مثل التحليل على اساس الموضوع او الصياغات المختلفة للمضمون او على اساس الدعوى او متصد الاتصال واثره . وقد ثبت ان تحليل الاتصال على اساس فئات المضمون افضل من تحليله على اساس ما يفترض من مقاصد وآثار .

وقد استخدم هذا الاسلوب في تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود اربعة اهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء هي : اثارة الكراهية لدى العدو ، والبقاء على صدقة الحلفاء والبقاء على صدقة المحابين وضمان تعاونهم ان امكن ، والتضليل على الروح المعنوية للعدو .

واستخدمت فئات اخرى في تحليل الدعاية وهي ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهى الحيل الخاصة المخ tabindex التي لا يكون الناس عادة على وعي بها . ومن ذلك ان معهد تحليل الدعاية الامريكي قد اكتشف في سنة 1937 ان هناك سبع حيل رئيسية يستخدمها خبراء الدعاية ، في تكوين رموزهم اللغوية للتاثير في الناس ، وكتسبهم الى صفهم . اما الحيل الاولى فهى استعمال الفاظ التعميم البراقة لتهويين

نهناء من المجتمعات الانسانية من لا يزال يعيش في عالم المادة وفي دنيا الامور الحسية ، لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدود من الانماط اللغوية تسد حاجة دنياه وتتجاوب مع ما يدور في عالمه ، وهناك من استطاع — لعوامل مختلفة — ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا اخرى تتصل بعالم نفسى روحي او معنوى فيوضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى — على ضوء تجربته — تشرح مدلول هذه الامور النفسية او الروحية او المعنوية (72)

من ذلك نجد انه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها او حين نسمع عنها ان تطورها رهن بتطور المجتمع ، بحيث تتجه اهداف اللغة في اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الانكار والمشاغر ، والآخر الى داخل الذات ، حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمراحلة لهذين المدىين اللذين ينبعان من ذات الانسان ينشأ المهد الثالث . وهو المهد الاجتماعي والترابط الانساني والتفاهم البشري (73) .

وقد لخص العالم « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

1 — انها تجعل للمعارف والافكار البشرية ، فيما اجتماعية بسبب يقوم استخدام المجتمع لغة يقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

2 — وانها تحافظ بالتراث التقليدي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 — وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكيف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 — وانها تزود الفرد بادوات التفكير ، وما وصل المجتمع البشري البصري الى ما هو عليه الان ، بدون التعاون الفكري لتنظيم حياته .

(72) د . حسن عون : « دراسات في اللغة والنحو العربي » — القاهرة 1969 م — ص : 8 .

(73) مجلة « اللسان العربي » — العدد : 3 — من : 55 — الرباط — المغرب 1385 هـ .

(74) عبد العزيز عبد المجيد : « اللغة العربية » — ج : 1 — ص : 19 — القاهرة 11 .

Institute for propaganda analysis, how to detect propaganda Propaganda analysis,
Vol. I, Nov. 1937 pp. 1-4

زمنية متعاقبة على اثارة استجابات انفعالية بواسطة رموز لا معنوية تختلف باختلاف نوع الجمهور .

اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه النهج الاعلامي الى دراسة الاسلوب الذي يؤثر في قابلية اللغة الاعلامية للقراءة او الفهم ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هي المماد والاسلوب ، بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بمعناية تامة ، مكان على النهج الاعلامي ان يقيس قابلية الرموز المطبوعة او المذاعة للقراءة او الفهم ، من حيث العوامل التي تميز الرموز التي يسهل او يصعب قراءتها او فهمها ، والاختلاف في الاسلوب ، ومدى سرعة القراءة لدى القارئ ومدى التركيز على الكلمات او مجموعات الكلمات ، ومدى ما يستوعب في ذاكرته من المعانى المؤقتة حتى ينتهى من قراءة الجملة . وكان النهج الاعلامي يركز في البداية على « الكلمة » في قياس قابلية القراءة ، فقسمت الدراسات الاولى القابلية للقراءة المواد الى نسبة الكلمات « السهلة » الى « الصعبة » الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقتتبة للكلمات مثل قائمة ثورندايك . وفي السنوات التالية اضيفت عناصر اخرى لبحثها مثل — طول الجملة — الجملة البسيطة والجملة الناقصة التي لا تحتوى على فعل والجملة ذات الفعل فقط ، ثم تبع ذلك ما لا يقل عن 82 عنصرا من عناصر الصعوبة التي زعم بحثها ، اختير منها اخيرا خمسة على اساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهي : الكلمة المختلفة ، والكلمات الصعبة المختلفة ، والضمائر الشخصية والجملة الناقصة التي تتضمن حرفما للجر ، وطول الجملة . ووضعت في صيغة تعد تعبيرا مباشرا عن القابلية للقراءة على اساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة . وفي نفس النسخة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة اخرى منتشرة مجموعة اخرى من ثلاثة عوامل هي : طول الجملة ، والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصل .

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ، ذلك انه يتحقق من صدقها عن طريق القارئ العام لاختبارات الفهم . وهذا القارئ يمثل جماعات تعليمية

القارئ ، وأخذه على غرة ، بحيث يتاثر ببريق اللفظ الطنان ، فيخدعه ذلك عن التفكير او المطالبة بالادلة والبراهين . وهناك مثلا لفاظ : الصدق ، والشرف ، والحرية ، والتقدم ، التي تتناثر في احياء الجمل والعبارات ، وهناك ايضا الكلمات الدينية والقومية التي يتوصل بها الدعاة ، مثل : الديمقراطية ، والاسلام ، والمسيحية ، والدين ، والشرف ، والامة ، والوطنية ، والحرية ، والقومية ، والانسانية ، وغيرها.

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة . وهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطوة موضوعة » ، وهناك « تقصير حظوظنا » ، وقد استعملت هذه العبارة الاخيرة لتفطية مرارة الانسحاب في حرب فلسطين سنة 1948 ، وتستعمل احيانا عباره « عاشرته معاشرة الازواج » للإشارة الى جريمة الزنا او هتك العرض . وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة او المتعة لتفطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب .

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضوع مناسب وتبسيطه في ذهن الجمهور وتبسيطه له واطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامه وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخلط الامور على الجمهور وتقطيم الدعاية في ظل معلومات اخرى يصدقها واستغلال الظروف النفسية للجماهير التي يجعلهم اكثر تصديقا لما يقدم لهم .

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير محسب ، وانما تستعمل كذلك للخداع والاثارة والتعمية وايقاظ الغرائز . فقد تستعمل اللغة للتغيير عن المعرف والاحاديث بدقة ووضوح فهي لغة اخبارية ، كما هو الحال في الرياضة والعلوم والاعلام ، وقد تستعمل اللغة ايضا لاثارة العواطف والانفعالات في نفوس الناس كما في الدعاية .

فالرموز اما معرفية تؤدي الى معلومات ، واما لا معرفية تؤدي الى انفعالات او اوهام .

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حرص مختلف انواع الدعاية الموجهة الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة في نفس الوقت او في مفترات

(75) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 87 .

نظريّة ظيس في التجريد :

وأفاده من هذه البحوث ، أصبحت اللغة الإعلامية تفضل أن تكون مفرداتها خالية من ازدواج المعنى والتوريّة والغموض .

وقد صور لنا كوزر ومن بعده هايكلسو عملية تجريد اللغة من عوامل الغموض والتوريّة ومحاولته التخصيص فتحثنا عن « سلم التجريد » وهو السلم الذي يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد . وعلى سبيل المثال فإن السلم يرتفع صعوداً على هذا النسق:

- ١ - ان كلمة « بيسى » وهو اسم البقرة المحددة او البقرة (١) يجعلها تختلف عن البقرة (٢) او البقرة (٣) ..
- ٢ - كلمة البقرة .

ج - كلمة « ماشية » التي تصنف البقرة « بيسى » مع سائر الحيوانات الأخرى التي تشاركتها نفس الخصائص .

د - كلمة « الموجودات » او « الاصول » او « الممتلكات » الزراعية التي تصنف « بيسى » مع غيرها مما يشتراك معها في هذه الخصائص .

ه - كلمة « الاصول » .

و - كلمة « الثروة » وهي أعلى مستويات التجريد في هذا السلم .

وقد اكتشف الدكتور رودلف ظيس معايير أو صيغة لقياس يسر القراءة أو ما اصطلاح عليه بكلمة « الإنقرائية » كما اكتشف معايير أخرى لقياس « الجاذبية الإنسانية أو الاهتمام الإنساني » . وقد بنى معاييره الأولى عن الإنقرائية على أساسين :

- الاول : متوسط طول الجملة .

الثاني : متوسط طول الكلمة محسوباً بالمقاطع .

اما معايير الاهتمام الإنساني أو « الجاذبية » فهي مبنية على أساسين هما :

لولا : متوسط النسبة المئوية لمعدل الكلمات الشخصية ، وهي جميع الأسماء المعبرة عن الجنسين الطبيعيين ، وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة ، وكلمة الناس المستخدمة مع أفعال الجميع ، وذلك كلمة القوم او الاهل .

مختلطة ، لذا فهي تنطبق على القارئ العام ذي الاهتمام العام ولا تضع في حسابها اثراً لأهتمامات القارئ الخاصة على قابلية قراءته للمادة . فالقابلية للقراءة اذن تعتمد على اهتمام القارئ وخبرته .

اللغة الإعلامية والأطر الدلالية :

وإذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته ، فإن الرسالة الإعلامية تفقد قيمتها عند ما ينعدم الفهم .

أن لكل جماعة ، بل لكل عدد مجموعة من التصورات والاتجاهات تحكم في سلوكه وفي نظرته للأشياء . فالإنسان يعيش في عالمين : عالم خارجي موضوعي ، وعالم باطني ذاتي هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجي ، أو مجموعة المفاهيم والدلائل .

ولا يستطيع الإعلامي أن ينجح في تحقيق هدفه إلا إذا عرف هذه العوالم الباطنية أو التطورات الخاصة أو الدلالات الحقيقة للأشياء في ذهن المستقبل . ذلك أنه لكل فرد عالمه الخاص ، وتصوراته الذاتية المشتقة من بيئته وثقافته ، بما فيها وسائل الاتصال المختلفة (٧٥)

والإنسان يميل إلى تنظيم المدركات بطبيعته ، وخلع المعانى عليها ، وقتاً لإطارات الدلالى ، أو مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة . ولا يمكن للأعلامي أن ينجح في إداء مهمته ما لم يعرّف حقيقة الأطارات الدلالية للجماعات والأفراد .

ويخطئ الإعلامي حين يظن أن ما يقدمه من معلومات أو أفكار سوف تفهم بالطريقة التي يفهمها هو بها . فهناك عقبات عديدة في سبيل ذلك منها التمييز والتعمق والخرافات والآوهام . كما أن هناك عقبات تنشأ عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

وعلى ذلك ، فإن عملية النهج الإعلامي بدراسة الدلالة والأطارات الدلالية هي عملية بالعوامل التي تؤثر في معانى الكلمات وفي قواعد اللغة وأساليبها فتؤدي إلى اختلافها وتتطورها .. وما إلى ذلك ، في إطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية ، الخ ..

مع ملاحظة ان حروف الاختصار ، وعلامات الوصل او الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جميع الارقام والاحروف الواقعة بين مسافات .

الخطوة الثالثة : تحصي المقاطع في المائة كلمة المخارة .

الخطوة الرابعة : تحصي الجمل على اساس وحدات الفكر ، لا علامات الوقف .

الخطوة الخامسة : تحصي عدد الكلمات الشخصية في كل مائة كلمة .

الخطوة السادسة : تحصي الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة .

الخطوة السابعة : استخلص بيسر القراءة (يقي) باحصاء عدد المقاطع في مائة كلمة اي طول الجمل (طج) طبقاً للمعادلة الآتية :

يقي (يسر القراءة) .

835 - 206 - 846 طك - 14015 طج .

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية (ج) بادراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية (كش) والنسبة المئوية للجمل الشخصية (جش) طبقاً للمعادلة الآتية :

ج 1 (الجاذبية الانسانية) = 3,645 كش + 0,314 ج ش .

وقدوة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذي يبدأ من أقصى الملل في ناحية الى أقصى الدراما في الناحية الأخرى مع وجود عمر التسويق للغاية بينما .

وينما يلى جدول فليس للجاذبية الانسانية :

| النسبة المئوية للغمل الشخصية | النسبة المئوية للكلمات الشخصية | نوع المجلات | صنف الاسلوب | درجة التسويق |
|---------------------------------|-----------------------------------|--------------|-------------|--------------|
| صفر | 2 فاقل | علمية | ممل | صفر - 10 |
| 5 | 4 | تجارية | مشوق نوعا | 20 - 10 |
| 15 | 7 | مختارات | مشوق | 40 - 20 |
| 32 | 11 | مجلات متعددة | مشوق للغاية | 60 - 40 |
| 58 | 17 | قصصية | درامي | 100 - 60 |

ثانياً : متوسط النسبة المئوية للجمل الشخصية ، وهى جمل المحادثة المنطقية التي تقع بين علامات التنصيص او الاقتباس ، وكذلك الجمل المتنمية بعلامات الاستفهام او علامات التعجب ومثلها جمل الرجاء والطلب والامر ، وكذلك الجمل الناقصة على اساس النحو اللغوى ولكن يمكن للقارئ فهمها من سياق الحديث .

ويضيف الدكتور فليس ان عامل الاجذاب الانساني او الاهتمام الانساني يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائد العظمى حدث القارئ وتشويقه للقراءة .

ويبدأ مقياس فليس من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الانقرائية والجاذبية . ويبدأ مقياس الانقرائية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدأ مقياس الجاذبية من الممل الى المشوق الى الدرامي .

تطبيقات معايير فليس :

وينسر لنا فليس كيفية تطبيق معاييره على النحو التالي :

الخطوة الاولى : إذا أردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات . ويمكن اخذ ثلاثة الى خمس فقرات من المقال ومن 25 الى 30 فقرة من الكتاب . ولا ينبغي انتقاء عينات مثالية او ممتازة . ونتمكن اخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفقرة 3 ثم 6 ثم 9 وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة .

الخطوة الثانية : تحصي الكلمات في القطعة المخارة كلها ، وفي حالة العينات تحصي الكلمات حتى المائة .

وينما يلى جدول فليس للجاذبية الانسانية :

اما مقياس يسر القراءة فيتضمن من الجدول التالي :

| متوسط طول الكلمات في جمل | المقاطع في كل 100 كلمة | نوع المجلات | صفة الاسلوب | درجة الانقرائية |
|--------------------------|------------------------|-------------|-------------|-----------------|
| 29 فاكثر | 192 فاكثر | علمى | صعبة للغاية | صفر - 30 |
| 25 | 167 | اكاديمى | صعب | 50 - 30 |
| 21 | 155 | ربيع | صعب نوعا | 60 - 50 |
| 17 | 147 | مخترات | عادى | 70 - 60 |
| 14 | 139 | قصص | سهل نوعا | 80 - 70 |
| 11 | 131 | قصص | سهل | 90 - 80 |
| 8 فاقل | 123 فاقل | قصص مصورة | سهل جدا | 100 - 90 |

الثالث : هو تمييز الاسلوب بنماذج الكلام ، اي بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمى .

الرابع : هو العادات والسمات اللغوية التي تميز شخصا ما ، وبخاصة كاتبا من رجالات الصحافة ، نجحن نقول اسلوب العقاد الصحفي او اسلوب الدكتور هيكل الصحفي مثلا تتفز الى اذهاننا بعض السمات التي ينفرد بها العقاد او الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التي يتميز بها .

ومهما يكن من امر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هو دراسة الاساليب الاعلامية المختلفة بحيث نشير الى الملامح اللغوية التي تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصيغة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين الواقع الاجتماعي التي تستخدم فيها من ناحية اخرى ، كما نفسر كلما امكن ذلك ، العلة في استخدام هذه الملامح ونقاولها باللامح البديلة في الانماط اللغوية الاخرى . ثم نصنف هذه السمات الى فضائل تبوب اما على اساس مميزاتها اللغوية من نحوية وصوتية ولغوية او على اساس وظيفتها في السياق الاجتماعي (76) او على اساس العلاقة بين الاثنين معا اما موضوع البحث الذي يتناول دراسة الاسلوب الاعلامي فهو اي شريحة من الكلام المذاع او اللغة

طابع الاسلوب الاعلامى :

جذبت مشكلات الاسلوب الاعلامى الدارسين ، منذ تأكيد لفن الاعلامى والصحفى وجود ، فتناول الدارسون بالتحليل الكفى اسئلة مثل :

— ما هو الفرق بين الاسلوب الاعلامى والاسلوب الادبى ؟

— ما هن الاغراض التي يهدف الاسلوب الاعلامى الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الاسلوب الاعلامى من علم «الاسلوبيات» أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديث ، ويعتمد هذا المنهج في دراسة الاسلوب الاعلامى على المنهج اللغوية الحديثة ، بل ان بعض الباحثين في تحليل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمى للاسلوب ، فاتجه هذا التحليل في اتجاهات اربعية :

الاول : هو اللغة كلها ، وقد اجريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام ، كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على اساس تكرار انماط الاستخدام التي تظهر في الكتابة والكلام .

الثانى : هو التمييز بين انماط الاسلوب في المقترات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام احدث التطبيقات واشتملها للتحليل الكمى للاسلوب الاعلامى وخاصة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة .

(76) انظر مقال «اللغة ونظرية السياق» للدكتور علی عزت — الفكر المعاصر — العدد : 76 — القاهرة .

اللامعرفية التي تناطح الغرائز وتوقظها لا تزال مستعملة في فنون الدعاية والاعلام . فالغرائز البشرية، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هي الاهداف التي يسعى المعلن والداعية الى التأثير فيها (77) .

اما الاعلام ، بمفهومه العلمي ، الذي يلتزم بمسؤولياته الخطة ازاء المجتمع والافراد ، فانه بحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الغرائز . وهو يساهم في ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الرأي العام وتنوير الناس ، يفضل استعمال الاسلوب المعرفي الذي يؤدي الى الوعي والتفاهم .

كما تتضمن الفروض التي يضعها الباحث في الاسلوب الاعلامي امامه اخيرا ، هل من الافضل دراسة الملامح اللغوية في اسلوب كاتب ما لذاته ، بصفتها سمات تميزه عن اسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاخرى ان تقدم خطوة في اطار علم الاتصال بالجماهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية وآثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تأثيرها على القارئ فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ ..

على اتنا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجماهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامي من الاكتشافات علم اللغة الحديث سواء في مجال علم المفردات او النحو او الصوتيات او الدلالة .

اللغة الاعلامية ونظرية السياق :

يرى مالينوفسكي انه يتبعنا علينا ان نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي والانساني الاخرى ، وان نفس دلالة كل لفظ او عبارة داخل اطار السياق الحقيقى الذى تتنسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمي الاجتماعى والذى نسميه لغة الاعلام ، لأنها تعد نمطا من انماط السلوك البشري لا يؤدي مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالينوفسكي انه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة اخرى ،

المطبوعة التي يمكن للمحطة اللغوى ان يعزلها من الفيض اللغوى المتدايق ثم يخضمها لمعايير البحث والتحليل ، سواء كانت هذه الشريحة عبارة او جملة او فقرة او نصا متكاملا .

ويطرح الباحث في الاسلوب الاعلامي عدة فروض :

— هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغة اللغوية وبين وظائفها في الاسلوب الصحفى او الاعلامى بوجه عام ، وبين الوظائف التى تؤديها هذه الصيغة في السياق الاجتماعى الذى تستخدم فيه ؟

— هل يتبعنا علينا ان نفرق في الوظيفة اللغوية بين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب المعرف » اي الذى يؤدي الى معلومات ، وبين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب اللامعرفى » الذى يؤدي الى اتفعاليات واوهام ، وبتعبير آخر هل تؤيد دراسة الاسلوب الاعلامي من وراء التمييز بين الاسلوب المعرف الذى يستعمل للتعبير عن المعرف لاحادث بدقة ووضوح ، وبين الاسلوب اللامعرف الذى يستعمل لاثارة المواتف والانفعالات في نفس المقياس ، وصنوفة القول في هذه المشكلة ان دراسة الاسلوب الاعلامي تتضمن التمييز بين هذين النوعين من الاساليب لتنمية الاسلوب الاعلامي من الاستعمال التحذيري للغة في السياسة والدعاية ، لأن الاسلوب الاعلامي يستعمل التعبير العقلى الفكرى ، والمناقشة الواضحة الناضجة .

وفي هذا المدد ، يذهب علم النفس الحديث الى ان استعمال اللغة استعملا عقليا واعيا ، هو الذى يخرج المركبات من مجال الغموض اللاشعورى ، الى حيز الوضوح الشعورى ، ويتحقق وارد وستانت في انجلترا ، وبرجسون في فرنسا ، وكروتش فى ايطاليا ، على ان اللغة هي مجموعة الرموز التي تنقل المعانى من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر . وفي رأيه ان الرموز المchorة لا يمكن ان تقوم مقام الانفاظ اللغوية ، لأنها غامضة غير محددة ، وان الرموز للتعبير عن الافكار هى الكلمات اذا استعملت استعملا عقليا واعيا .

كما ان الفروق بين الاسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية

(77) نشره مالينوفسكي كملحق لكتاب اوجدن ورشاردز المعروف . "The meaning of meaning"

اللغوية او الكلامية التي ينطق بها المشتركون في الموقف .

وذلك الاحداث غير اللغوية التي تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والاماءات ، الغ ..
ثانيا : دراسة اشياء والادوات ذات العلاقة بالوقت .

ثالثا : اثر او نتيجة الحديث اللغوي .

ولقد ساهم مالينوفسكي وغريث بدراسة «السيق»، في تشجيع الباحث اللغوي في الاعلام حين يقتصر على دراسة اللغة من الناحية التحوية والصوتية واللقطة الا يهم «الموقف» بشخوصه ونظمه وعاداته .
والرأي عندي ان دراسة السيق في لغة الاعلام تفيد في فحص مضمون الاتصال في مقابل الاهداف منه، سواء كانت صريحة او ضمنية . كما تفيد في تصحيح التكيدات الخاطئة في مضمون ولغة الاعلام على ضوء المدف منه .

وتساعدنا دراسة السيق في لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقتها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :
اولا : تقويم الاداء بناء على معيير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن او وجود هدف اجتماعي .
ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون باخر .

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجي ليس من المضمون .

وقد تم تطبيق المعيير قبلية على مضمون الموضوعات التي تتناولها الصحف في بعض البلاد وفي فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات لتلك من مقدار الانباء او التشويه او عدم الدقة .

وتواترت دراسات اخرى طرق معالجة العمل في البرامج الاخبارية في الاذاعة ، وطرق معالجة قانون معين في عدد من الجرائد ، وطرق عرض الاتياء المطيبة في المجالات الاسبوعية . على ان الاسلس الثاني للتقويم يتضمن اقامة معيير داخلية ، لقلنة جزء من سياق المضمون باخر . ففي دراسة «السلوك الاخلاقي وغير الاخلاقي لمدى من المصحف المثلة للصحافة الامريكية تم تقويم المصحف على اسس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من المصحف التي تهتم اهتماما كبيرا بالاتياء الاجتماعية » .

وكما بعثت المسألة بين تفاصيل متابعتين زادت المعرفة في العثور على مرايقات غير هاتين التفاصيل .
وإذا أردنا شرطاً للترجمة في شئ من الدقة فانها إعادة حق اللغة الأصلية إلى لغة أخرى مختلفة تمام الاختلاف . ومن ناحية أخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هي من غير تلك ترجمة سياقات بكل منها .

ومنه القول ، ان تقبل الناحية اللغوية للانماط عن السياق الاجتماعي والثقافي كما يذهب مالينوفسكي هو تبين لكل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، بالنظر بالنسبة له هو عمل ذو قيمة وفاعلية لا تقل عن اي عمل يدوى ؛ او انه مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالوقت الذي يحدث فيه ، وذلك ما حدا بمالينوفسكي ان يقول في مقاله : « مشكلة المعنى في اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموقف ارتباطا لا ينفصل ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الانماط » .

وتتجذر نظرية مالينوفسكي هذه ، صدى في كتابات الفيلسوف ك . فتحنثتين الذي يقول في كتابه « ابحاث ملسفية » :

« تكون معانى الانماط في استخدامها ، وليس في مقدور المرء ان يحرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه ان ينظر الى استعمالها ، ويتعلم من ذلك » .
ويمكننا ان نقول ان نظرية مالينوفسكي في السيق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان توظف لصالح النهج الاعلامي في اللغة ، لدراسة اللغة في اطارها الاجتماعي . وذلك ان هذه النظرية - كما ذهب الى ذلك غريث - اطار مناسب تنظم فيه العناصر التي تضم الاشخاص والادوات والاحاديث ، الى جانب عنصر اللغة الذي تقوم بينه وبين هذه العناصر الاخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية في محل الاول .

ويقترح غريث على اللغويين ان ينحووا في دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصي العلاقات الداخلية لتحولات الموقف على هذا النحو :

اولا : دراسة السمات المميزة للأشخاص والشخصيات التي تساهم في سياق ما ، مثل : الاحداث

الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجماهير
محسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة
متكلمة تقدمها المصادر العديدة في الفلسفة وعلم
النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع
والسياسة ، وعلم النفس الطبيعي والتلاjang النظرية
وآثار الاتصال ونتائجها .

ومنفوة القول ان المنهج الاعلامي في دراسة
اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بالgrad
فصيلته وتعنى بها علوم الاتصال بالجماهير ، اشد
من صلته بالطوائف الأخرى .

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هي علاقة تأثير
وتاثير ، فاذا كان تأثير لعلاقة التأثير على النحو السابق ،
فإن علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هي
علاقة التنمية اللغوية ، واهم عوامل التأثير في حياة
اللغة ، ذلك ان اللغة في مختلف مظاهر حياتها -
شائتها في ذلك شأن النظم الاجتماعية الأخرى - ترتبط
ارتباطا وثيقا بما عدتها من مؤشرات العمران ، ولعل
اهم هذه العوامل التي تؤثر فيها وسائل الاتصال
الاعلامية التي تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية
وشؤونها ، فهي تسهم في نشأة كلمات لم تكن موجودة
في اللغة من قبل ، وفي هجر كلمات كانت مستخدمة
فيها او انقراضها انقراضا تاما .

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم
العوامل التي تدعى الى نشأة كلمات في اللغة ،
كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعي
جديد ، سواء كان نظاما اجتماعية واقتصادية ، او
نظريه جديدة علمية او فلسفية ، او مخترعا ما يليا
جديدا ، الخ ..

ذلك ان الاعلام من حضاري ، لا يزدهر الا في البيئة
الصالحة للتقدم والتطور . ففي الصحافة المصرية
الحديثة ، نلاحظ انها قد ورثت ، عند ظهورها في
القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبها
عيتها يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تمثل الى البهرجة ،
ثم اخذ هذا الاسلوب يتخلص شيئا فشيئا عن هذا
التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » نوجتنا انسنا
امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبي والاسلوب
الصحفى واخذ الفن الصحفى في التطور والتطور حتى
وقتنا الحاضر . واذ ذاك وجدنا له لغة تبعد بعدها ظاهرة
عن لغة الادب . فقد استحدث الصحفيون الحاليون

واستمدت المعاير من تحليل مساحات عنوانين
المصفحة الاولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة
الاجتماعية » هي (المشكلات الاجتماعية ، ودولية
الولايات المتحدة ، والوطنية) وثلاثة موضوعات حسية
هي (حمس المال ، والجيش ، المال والجنس) .
وبطريق الاخيرة من الاولى نحصل على درجة واحدة
للمقياس (الاجتماعية الحسية) لكل محييـة . طبقـ
هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقوـن بينـها
على اسس ان هذا هو معيـار تحـديد احسن صـفـحة .
ولا شك ان كفاءة المعاير المستخدمة والتي تستعين
بدراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويمـ
وسائل الاتصال الاعلامية .

نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان
تفيد من دراسات علم اللغة ببروعة المختلة ، وما
تهتمـى اليـه من ظواهر لـغـويـة ، وما تكتـشـفـه من بـحـوث
مـنهـى تـفـيدـ فى درـاسـة لـغـة الـاعـلامـ وـتـهـنـيـبـ الفـاظـهاـ وـتوـسيـعـ
نـطـاقـهاـ وـتـرـقـيـةـ مـفرـدـاتـهاـ وـاـخـالـ مـفـرـدـاتـ جـديـدةـ . عـلـىـ
مـفـرـدـاتـهاـ وـتـرـقـيـةـ مـفـرـدـاتـهاـ وـاـخـالـ مـفـرـدـاتـ جـديـدةـ . عـلـىـ
تـبـسيـطـ وـسـلـامـةـ وـوـضـوحـ ، وـاقـرـابـ شـدـيدـ منـ لـغـةـ
الـعـدـيـدـ الـوـاقـعـ الـحـىـ المـتـقـفـ ، دونـ اـسـفـ اوـ هـبـوطـ
إـلـىـ الـعـالـمـيـةـ وـإـسـتـخـدـامـ الـلـغـةـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ تـعـبـرـ عنـ
الـحـيـاةـ وـالـحـرـكـةـ وـالـعـمـلـ وـالـإـنـجـازـ هـيـ الـلـغـةـ الـاعـلامـيـةـ
المـؤـثـرـةـ حقـاـ .

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية
يولي وجهه في مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويسـتمـدـ
مـنهـ المـعـونـةـ ، وـيـتـوـصـلـ إـلـىـ النـتـائـجـ الـعـلـمـيـةـ الـتـطـبـيـقـيـةـ ،
فـتـطـلـوـرـهاـ عـنـ طـرـيـقـ قـوـانـيـنـ عـلـمـ اللـغـةـ وـقـوـاعـدـهـ ،
ولـذـلـكـ فـاـنـ بـحـوثـ اللـغـةـ الـاعـلامـيـةـ لـاـ يـمـكـنـ اـنـ تـنـفـصـ
عـنـ بـحـوثـ عـلـمـ اللـغـةـ ، وـلـكـمـاـ فـيـ نـفـسـ الـوـقـتـ تـتـنـصـلـ
اتـصـالـاـ وـثـيقـاـ بـعـلـومـ الـاتـصـالـ بـالـجـامـعـيـرـ ، وـذـلـكـ اـنـ
الـلـغـةـ الـاعـلامـيـةـ لـغـةـ فـنـ تـطـبـيـقـيـ وـلـيـسـ فـنـ تـجـريـديـاـ .
وـالـفـنـ التـطـبـيـقـيـ لـاـ يـقـصـدـ لـذـاتهـ ، وـاـنـماـ يـهـدـىـ إـلـىـ
تـحـقـيقـ غـالـيـلـ مـعـيـنةـ ، وـاـنـ يـؤـدـىـ وـظـائـفـ مـحـدـدةـ ،
وـالـلـغـةـ الـاعـلامـيـةـ مـتـرـتـبـتـ بـسـتـ وـظـائـفـ رـئـيـسـيـةـ هـيـ :
الـاـخـبـارـ اوـ الـاعـلامـ ، وـالـتـفـسـيرـ اوـ الشـرـحـ وـالـتـوـجـيهـ
اوـ الـاـرـشـادـ ، وـالـتـسـلـيـةـ اوـ الـاـمـتـاعـ وـالـتـسـوـيـقـ اوـ
الـاعـلـانـ وـالـتـعـلـيمـ اوـ التـنـشـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـلـيـسـ اللـغـةـ

والعلامات اللغوية هي العنصر الأساسي في اللغة، وهي وحدة تتالف من شكل صوتي (جسم صوتي) أو (دال) معنى (مضمون) أو (دلالة).

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة للشاعرية التي تتم في وعي الأفراد المنتهين للجماعة اللغوية ، وهي صور متصلة بالشكل الصوتي المعين للعلامة ومرتبطة بها ارتباطاً متصيناً . اي ان العلامة اللغوية ليست هي الشكل الصوتي والصورة الكتابية المقابلة له فحسب ، بل لا بد فيها من وجود رابط يجمع بين ذلك الشكل الصوتي المدى والمضمن الشعوري الوعي . وبهذا تكون العلامة اللغوية وحدة ذات ثقين .

والعلامة اللغوية تمثل بشكل مادي محدد في كلمات ووسائل نحوية وصرفية تعبير عن العلاقات الثالثة بين الكلمات ، اي أنها تخلق من مجموعة الكلمات التراسة في احدى اللغات جيلاً سليمة من ناحية التواعد التحورية ، ولذلك فإن الاعلام اللغوي ، يرتكز على دراسة هذا الشكل المادي للعلامة اللغوية كذلك. كما يعني دراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تمثّل جزءاً محدداً من الواقع الموضوعي في وعي الفرد المنتهي لجامعة لغوية ، ولأن هذا المعنى عبارة عن فكرة ، وهذه الفكرة هي في الوقت نفسه العنصر الأساسي من الصورة التي تمثّل الواقع الموضوعي.

وليسوا على ذلك تتحدد الوظيفة الاجتماعية للعلمية للغة ، والتي يعني بدراساتها علم الاعلام ، لما تقوم به من دور كبير الآن في حياة العالم السياسي والتربوي . ويزداد بوجه خلص في عصر الصراع بين الاستعمار والاشتراكية وبين قوى الاستفلال والرجعية وقوى التقديم والتطور - ان الجاليين ينافسون في اجتذاب الأفراد إلى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من الصراع الدائري ويشرك فيه بدوره . واقترب الوسائل التي يجلون إليها في سبيل ذلك هي الكلمة .

لهذا كله يصبح من الزم الواجبات التي تواجه علم الاعلام اليوم أن يبحث في لغة اللغة على تفكير الناس وفهمهم للأمور وتوجيهه مشاعرهم وارائهم ومساكمهم الصالحة ، والدور الذي يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام المنشطة في احداث الاثر المطلوب .

تراتيب جديدة لم تخطر للاباء او اللغويين الاولين . بدلًا من قولهم : انه لا بد من توسيع المسألة توضيحاً لا دفع مجالاً للشك بأحددهم يقولون : نريد ان نضع النقط فوق المروف ، وهناك صفات ونوعات جديدة لا وجود لها في الكتب التقديمة مثل : الحقيقة الصارخة ، والاكنونية البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعائية السوداء ، والغيرة الصفراء .

وفي موضع آخر من هذا البحث ، سترى مدى الدور الذي يمكن ان يؤديه الاعلام في الشبيهة اللغوية ، وهل ظلت ، وتوسيع نطاقها ، وتكللة نفسها ، وتهذيبها من تواهي المرادات والقواعد والاسلوب ، وتسجيل أكثرها ، واستخدامها في مختلف اشكال وفنون التحرير الصحفى والاعلامى .

ونخلص مما تقدم جميعاً ، الى ان النهج العام الذي يشق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عدداً من المأامح ينطلق من ثغر علم اللغة المقارن. ويحيى الى علم اللغة ويعبحث في العلاقات اللغوية في الاعلام العربي المعاصر في شوء علم اللغة الوسفى او الطسوم الاجتماعية والنفسية . وينظر كذلك في تضليل اللغة الاعلامية على هذا النهج التناقضى وعلم اللغة التطبيقى.

والسير بهذا النهج خطوات كبيرة ، يتوقف على التوصيمية بمعناها اتسام الصخامة ومحاولات الاملاك باللغة العربية اهتماماً كبيراً يبحث هذه اللغة بحثاً علمياً ينطلق من محاولة التصور ، التي اثبتناها لها سبق ، نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية وقيامها بوظيفتها ، فنحن نستطيع ان ننظر الى اللغة من اعتبر انها نظام من الملامح الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطة بتاريخ الناطقين بهذه اللغة مواسِّخة للتواصل ووسطاً للتنكير و مجالاً للتعبير نحو الانكار والمواطد والشاعر .

وعلى ذلك فإن علم الاعلام اللغوي ، يشق طريقاً جديداً متخصصاً في تأثير اللغة على الناس . ويتحدد التواصل اللغوي في منهجه بعملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات . ويطمس هدداً التواصل اللغوي على شكل مباريات او تصريحات شفهية او كتابية تبادلها الأطراف في موقف معين ، لفرض معين ، عن واتعنة معينة .

الفصل الرابع اللغة الإعلامية

اللغة الاعلامية هي اللغة العربية الفصحى :

وتقديم انتنا لا نعنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية من تجريد نظرى ، ائما نزيد باللغة الاعلامية انها لغة بنيت على نسق عملى اجتماعى عادى ، فهو في جملتها فهو يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام .

وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا يرمي إلى المنجنة والتيسير، أخص الخصائص في اللغة الإعلامية ، التي تستخرج الرموز المجددة أو الاتساع أو النماذج التي تقوم مقام التجربة الفردية أو الجماعية لتنظيم التجارب الإنسانية الجديدة .

ناللقة العربية في طليعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية او الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النبو تتنظم ثقبه الجزيء العظيم .

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا امة بيان ،
والكلام عندهم مكتبه العمل لان القول والعمل عندهم
مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتغاضلان ، مليئين
القول صورة مجسمة ومكثرة عن العمل كما هي حال
الامم المغاربة في الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره
كما هي حال الامم البكيرة العاجزة في لستتهم فلا
غرابة بعد هذا في ان نجد الكثير من خصائصنا العربية
وخصوصاً لهم في لفتهم (78) .

و تلك السمة البليزرة في اللغة العربية ، هي التي جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (79) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم و مصنفات اوطاناتهم من كلماتهم و الفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربي من مادة الناظمه و مفرداته في اسلوب الواقع و اسلوب المجاز .

يقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمع العروبي في قوامه الاصيل ائما كان مجتمع رحلة ومرعيها »، وإن :

(78) محمد المبارك : « خصائص العربية » من ملخصات

⁽⁷⁹⁾ «النفة الفاعرة» - ص: 61.

Airport اي الم بناء الجوى ، وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية في الدلالة على العمل او الصفة البارزة لفظ Moteur اي المحرك .

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (82) هذا المعنى في دلالة اسماء الامكنته ، فهى دلالة مضطربة على هذا المثال في اكثر البقاع التى تسكن او يرحل منها واليها .

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والمأوى وكذلك المسائدة بين مكان ومكان انما هي الموضع الذى يسافر ترابه للالهادء الى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمقاييسه على عيشه « المشاع » في البادية الاولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصورا على بانيه ، خلانا للبيوت والخيام التي تقام في كل مكان .

واسم المكان معناه « التمسك » خلانا للنبلة والمنتقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا ايضا في الكلمات التي تدل على العشيرة او على الرابطة الاجتماعية بين الاشخاص . فالصاحب هو من يبني مسك في السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبة الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزله ، وتناسبه كلمة « العدد » للخصم الذى يمتلك او يمدو على جوارك .

ونتبغ هذا المعنى ، او نقرأه في المعنى المجازية ، منتقل المذهب للطريقة الفكرية كما نقول النهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والملامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من نص الآخر ، ونطلق الاثر على المخلفات وهى من يقايا المواطن والاقتداء .

ونعتقد ان النظر في الناظر اللغة من هذه الناحية متمن لدراسة اللغة الاعلامية ، سواء منها ما يراد لتاكيد عوامل النجاح في « الرسالة الاعلامية » للبلوغ والتاثير في الجماهير ، او لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمي اليه من نبذة وتبسيط او للتفرق بين لغة الاعلام ولغة الادب .

والفضل وهو الزيادة في الفضل المعنوى والارتفاع في الشرف (80) .

ولو نظرنا الى هذه الانماط الأخرى : عامل ووال وجهاز وذكرة وهى الناظر نشأت بعد الاسلام ووضحت لمعان جديدة لوجدنا انها اخذت من العمل ، والولاية ، والجهاد ، والزكاة بمعنى النماء او الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الانماط المستحدثة في عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من المنظر والدبابة من ثقب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين غرور العلم المختلفة . ولو قابلنا بين هذه الانماط وائلتها من اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية لوجدنا اختلافا في طريقة التسمية وفي اختيار الصفة التي بها تكون التسمية ، فإنه يلاحظ أولا أن اللغات الأخرى قلما تحتفظ بالمعنى الاصلي للانماط الدالة على أمثل المسميات ، اما العربية فهي في اغلب الاحوال تحافظ بالمعنى الاصلي للانماط التي تطلقها على مسميات جديدة كما هي الحال في الانماط التي استشهدنا بها وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة في الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لأننى تأمل ونظر . وقد تدق احيانا وتختفى احيانا أخرى ، ملماط العربية في الجملة معللة (81) .

ان العرب يذهبون حين « التنبجة » او « التسمية » إلى احسن صفات المسمى او التنموذج واخرازها ، او إلى عمله الاساسى ووظيفته أكثر من ذهابهم الى ظاهره وشكله الخارجى او تركيبه واجزائه . فبينما نرى الفرنسي مثلا قد اطلق لفظ Bicyclette اي ذات الدواليب على اداة الركوب المعرونة بهذا عندهم اطلق عليها العرب لفظ الدراجة ، فالفرنسي حللا الى اجزائها ونظرا الى تركيبها وعلى حالتها السالكة ونظر العربي الى وظيفتها وعملها وحركتها فسماها دراجة ، وكذلك السيارة سماها الفرنسي Automobile اي المتحرك بنفسه وسماها العربي بلنقط يدل على عملها ، كذلك تلقى المكواة وهي في الفرنسية Fer à repasser امرارها ، وفي المطر وهو في الفرنسية Aérodrome ومعناها الحرف السباق الجوى وفي الانجليزية

(80) محمد المبارك : « خصائص العربية » — ص : 51 — ايضا « نفع اللغة » — ص : 129 — 195.

(81) المراجع السابق .

(82) « اللغة الشاعرة » — ص : 61 .

الاوقات ، وليس لجزء من الناس في كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت ، فكل كلمة او كل مجموعة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامي يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبليين ٤ ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمن في افعال لفتها الام .

لأن عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا في تحطيمية الاخبار وتحريرها واراجها من جهة ، كما تميز الاعلام بالدورية والابداع من جهة اخرى ، فهو يبروي حدثاً يعيشه في اطار زمن محدد ، فاللغة التي تدل على الزمن بعلامات متربدة في الفعل انساب واصلاح للعلام من اللغة التي خلت من تلك العلامات . وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة اعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسب ان لغة فهمها — او فهم عنها — كما يقول الاستاذ المقاد (84) قد اشتغلت على وسائل للتبييز بين الاوقات كما اشتغلت عليها اللغة العربية . سواء نظرنا الى ضرورات مبانيها او نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتها .

فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شانها في حياة سكان الباادية بين السفر والاقامة والخل والترحال . ففيها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة ، وما هو صالح للراحة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار .

ولهذا وجدت كلمات البركة والفحى او الغنوة والنهى وانتلاعة والمسير والاصيل والمرتب والمشاء والمزيج الاول من الليل والمزيج الاوسط والموهن والسحر والفجر والشروع .. ويقاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات في كثير من اللغات الاخرى بغير الجمل والترافق (85) .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه في المراعي والانتاج وطلب الماء او التجارة او الامان ولهذا وجدت اسماء المواسم والفصوص - جديماً ووجدت معها ثلاثة اسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس في مصطلح الفلكين : فهي السنة وهي العام وهي الحول .

فكل كلمة في اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبليين ، كما يجب ان ت exposures ب بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة او الاستماع ، اما فنون التورية وازدواج المعانى او الملالات الاتفعالية حول الالفاظ ، وغيرها من فنون الادب التي تؤدى المعانى وخاصة في الشعر ، فهي بعيدة تماماً عن لغة الاعلام لانها تقطع تيار الاتصال الذى يجب ان يظل مجرى صافياً نبيراً .

وإذا كانت اللغة العربية كما وصفها الاستاذ العقاد (83) « اللغة الشاعرة » ، لغة بنيت على نسق الشعر في اصوله الشفوية والموسيقية ، فهي في جملتها من منظوم منسق الاوزان والاصوات ، لا تنفصل عن الشعر في كلام تلقت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء . فان اللغة العربية كذلك ، لغة اعلامية ، وتزيد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامي بمفهومه الحديث تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها ، كما انها تتشبّه مع قيم المجتمع وعاداته وتتألّفه فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء ذلك ان في تسميتهم لها باسم بعينه ، وفي اطلاق لفظ دون غيره عليه ، واختيار مثافة من صفاتها ، ما يدل على اتجاههم في التفكير وتقديرهم للأشياء .

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهم نهموا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال واستعمالهم انتلاع « المرأة المرأة » يدل على تسارى الرجل والمرأة في الاصل عندهم ولنظرة المروءة مشتق منها معاً ومحنته المعنفات المستحبنة المأخوذة من اخلاق الانسان ذكرها كان لم انشى .

المفكرة الزمنية في اللغة العربية :

من اهم المقاييس التي يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن في افعالها . ثم في سائر الفاظها .

وهذا المقياس يصبح من اهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لأن الصحفيين او رجال الاعلام يكتبون لكل الناس في كل

(83) « اللغة الشاعرة » — ص : 8 .

(84) « اللغة الشاعرة » — ص : 71 وما بعدها .

(85) المرجع السابق من 72 — 73 .

وقد نعلن لهذه الحقيقة عالم من اقدر علماء الاجراميات والباحثين اللسانية — على حد تعبير العقاد (87) — ففي كتاب اصول الاجرمومية الانجليزية لمؤلفة الدكتور توجبرسن « يقول هذا الباحث الحق » ان لنا — على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماض ومستقبل . وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كثنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكتها على الدوام منصوبة الى المستقبل ».

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة في التفرقة الاجرمومية بين الحاضر والمستقبل في لغة العرب — كما يقول العقاد — فإذا أراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما يأتي وبمعنى الاشارة واستحداث الفعل على الطلب فصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال ، وصيغة المضارع مسبوقة بالمسين تدل على المستقبل القريب ، ومسبوقة « وسوف » تدل على المستقبل البعيد .

ومن أشهر اقوال النحاة العرب ما جاء في فنون اللغة للشعالي وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قد يستعمل الماضي مكان المضارع ، مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلون » اي سيأتي وقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » اي ثلثه ومثله وكان الله غفورا رحيما اي ولا يزال ، الخ . ويقرر علماء البلاغة ان التعبير عن المستقبل بلغط الماضي انما يكون تبيينا على تحقيق وقوعه ويعتلون بذلك بقوله تعالى : « و يوم ينفتح في الصور فتصعد من في السموات ومن في الارض » اي يتصعد ومن اسرار الفكرة الزمنية في اللغة العربية الاستطالات المختلفة لل فعل « اتى » فنجد في القرآن الكريم : « اتى امر الله فلا تستعجلون » .

— قد مكر الذين من قبلهم فتى الله بنائهم من القواعد .

— فنقول فرعون فجمع كيده ثم اتى .

— اتى صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى .

— الا من اتى الله بقلب سليم .

— كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قاتلوا ساحر .

ولكل منها موضعه في التعبير ، بل لهذا وجدت للاوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر في المدة . فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن . وتنطوى فيها اللحظة او اللحظة لوقت التصريح والبرهنة والروح لوقت الطويل . والفترقة للمدة المعرضة بين وقتيين . بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والبعد للزمن المعهود المترقب بمناسبة ، والزمن للدلالة على جنس الوقت ك فيما كان ، والدهر للجدة المحيطة بجميع الازمنة والمعهود والاحيان .

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات في لغة من اللغات التي تفهمها على صورة ادق من هذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها كما يقول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضي » مهم عند ابناء البايدية العربية في كل عهود من عهوده . لانه مستودع المفاخر والانساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من الصادقة ان يسمى التاريخ باسم الایام وان يعرف لكل يوم اثر فيما كان وما يكون .

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة في العناية بجزائه وتتقسيماته . لأن كل لحظة منه ذات شأن في الحركة والاقامة . وفي الرغبة والتجارة ، وفي الحرب والامان ». وليس من الطبيعي ان يبلغ احساس قوم بـ لوقت هذا المبلغ ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الاحساس به في مختلف مواضعه ومناسباته .

فإذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العرب في هذا الصدد وجدناهم يربطون بريطا وثيقا بين الصيغة والزمن ، فيقسمون الزمان الى ثلاثة : الماضي والحال والمستقبل مكتفين بذلك الازمة الاسلامية على ان بعض المتكلمين من العرب قد انكر وجود الزمن الحالى ورأء مندرجا في الماضي والمستقبل بعضه في الماضى والباقي في المستقبل ، ولكن جمهور النحاة يبنون فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال ، وقال ، ان كان قد وجد فيكون ماضيا ، والا فهو مستقبل ، وليس ثم ثالث ، والحق ما ذكرنا ، وان لطف زمان الحال » .

(87) اللغة الشاعرة من 76 .

(86) ابن يعيش من 4 الجزء السابع .

الاستد نفسه ، وانها هي رمز له . وقد يبدو ان هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ، ولكننا نجد البدائيين بل والكثير من المحدثين ايضا يخلطون بين الرمز والمعنى .

من المعتقدات الشائعة في مصر ان الرقى والتلمع لها قوة السحر ، وان الرموز تؤثر تأثيرا خيرا او شريرا على الناس ولكن يمنع الحسد ، ويصنع بعض الناس صورة او تمثلا للحسود ، ثم توخر بالابر ، وتلعن بالالفاظ ، واخيرا تضرم فيها الناس .

وفي جنوب ايطاليا — لا يلفظ اسم الشخص الحسود اثناء لخظه اذ يعتقد الايطاليون ان مجرد نطق الاسم خطير داهم ، لذلك يشرون اليه بعبارة « الذى لا يسمى » وكلمة الموت لا تلتفت مراجحة في معظم اللغات وانما يستعمل ضعفها باللفاظ وعبارات مختلطة ، دفعا لشر هذا الرمز .

واندراى هو — كما يذهب الدكتور امام (89) — الى ان الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففي البداية كانت اللغة تتاثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فاصبحت عملية وجدانية واخيرا بدأت مرحلة التعبير العقلي . فالمجتمع البدائي يؤمن بقدرة السحر الكامنة في الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بلا شيء وكان المروون القدماء يعتقدون باله هو الكلمة ولا تزال هذه المعتقدة سائدة في معظم الاديان ولكن بصورة تتناسب مع انتوبيد ثم تطورت اللغة في مدارج التعبير العاطفى الوجدانى ، فاستغلوا الكهنة للتاثير في الناس بالعبارات الفلمفة والكلمات ذات الجرس الموسيقى ، والتي تشبه المخدر .

ولاشك ان الاستعمال التخييري للغة في السياسة والدعائية لا يزال منتشر افالخطب المسموعة ، والافاظ الرنانة ، والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الاتفالية تؤثر جيئا في عوامل الناس وخاصة في المستويات الحضارية المختلفة . وهذا الاستعمال التخييري للغة هو الذي تشجعه الدعاية ، اما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلى التكرى والمناقشة الواضحة الناضجة .

— هل اتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا منكروا :

وفي هذه الاستعمالات القرائية لل فعل « اتي » نجد اساليب مختلفة في الآية الاولى زمن الاتيان هو المستقبل ، وفي الثانية هو ما بعد الماضي ، وفي الثالثة ما بعد الماضي ، وفي الرابعة ما بعد الماضي ، ايضا ، وفي الرابعة للحال المستمرة التي شبهه الحلاق الثابتة ، وفي الخامسة للمستقبل ، وفي السادسة لما قبل الماضي ، وفي السابعة للماضي المؤكد .

ويحق لنا ان نقول مع المقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بكل من معنى واحد : لغة الزمن لأنها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لأنها قادرة على مسلية الزمن في عصرنا هذا وفيها يلى من عصور .

اللغة العربية لغة ممزوجة :

تقدم اتنا في لغة الاعلام ، لا بد ان تفرق في الوظيفة اللغوية بين الاسلوب « المعرف » اي الذي يؤدي الى معلومات والاسلوب « الالامرف » الذي يؤدي الى خرافات وأوهام ، لتنقية اللغة الاعلامية من الاستعمال التخييري للغة في الدعاية والسياسة .

فمقد ما يتول شخص آخر « صباح الخير » فإنه لا يعني التقسيم الاشاري للعبارة وانما يريد ان يحدث تاثيرا عاطفيا ، او اقامة صلة طيبة بصديقه .

وعند ما اشار ترشيل الى الامان بلفظ المون Huns كان يريد اثاره الكراهية ضدتهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل الجرمانية . وعند ما يسب شخصا آخر ناعتا اياه بته حيوان او كلب ، فإنه لا يريد المعنى الاشاري او الاخباري بقدر ما يريد اثاره الغضب والتحقيق والازلاء (88) .

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشئ فاننا كما يقول الدكتور ابراهيم امام — نلاحظ في مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين الرمز والمعنى ، او بين اللفظ ومدلوله ، فالراية الحمراء رمز الخطير ولكنها ليست الخطير نفسه . وكلمة اسد ليست هي

(88) عبد الله امام العلاقات العامة والمجتمع — ص : 229 .

(89) المرجع السابق — ص : 23 .

دائماً في الجملة المتكلم ان قليلاً او كثيراً . وهذه الخاصة المعرفية في اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفيها على حدة الى تركيب مفرداتها على حدة ، الى تركيب قواعدها وعباراتها في بنية الشكل الصحفى وفنون الاعلام المختلفة .

فاللغة العربية في طبيعة تركيبها لا تحتاج الى الجمل الخبرية « الاعلانية » فهـا الى افعال الثبات او ما يسمى في اللغات الغريبة « فعل الكينونة » فنحن نقول في العربية على سبيل الاخبار « فلان شجاع » دون حاجة مطلبه الى ان نقول : « فلان هو شجاع » ، ونقول : « كل انسان فنان » دون حاجة الى ان نقول : « كل انسان يكون فانياً » او « كل انسان يوجد فانياً » ، او كل انسان كائن فنان . كما هو شأنهم في تركيب كلامهم واذا قلنا مثلاً ان « الامة العربية واحدة » ثبت هذا المعنى في اذهاننا ثبوتاً لا يحتاج معه الى شئ من الخارج ، لا فعل الكينونة ولا اي رمز آخر من اللغة او اي امر من امور الحس . والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة مائة دائماً في نفس العربي ، بلتنت اليها حين يواجه المعنى ، فاذا اراد ان يبرزها او ان يؤكّد مثلاً بلفظ تقوله : « انه هو الحق » (90) .

ومعنى هذا ان الاسناد في اللغة العربية يكتفى فيه انشاء علاقة معرفية بين « موضوع » « ومحول » او مستند اليه ومستند ، دون حاجة الى التصريح بهذه العلاقات نطقاً او كتابة ، في حين ان هذا الاسناد الذهني لا يكتفى في اللغات « الهندو - اوروبية » الا بوجود لفظ صريح مسحوب او مقروء ، يشير الى هذه العلاقة في كل مرة ، وهو فعل « الكينونة في اصطلاحهم »

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالناظر بذلك من اجل المعانى ، اي لكي يؤدي الرمز وظيفة معرفية تحفز السامع او القارئ للعمل . وخير الادلة على ذلك لغة القرآن الكريم ، والتي وصلت الى اقصى آيات الاعجاز لفظاً ومعنى ، فكان لها ذلك التأثير العظيم في استنهاض الهم ، لتحقيق المثل الانساني الاعلى . وتلبيساً على هذا الفهم لروح اللغة العربية ، قال ابن جنی في « الخصائص » في باب الرد على من ادعى على العرب عنایتها بالالناظر .

وقد كثـر حديث اللغويين عن هذين النوعين ، فنرى في كتاب Alecking فصولاً خمسة لما سماه : النثر العلمي المعرف والتـر العاطفى ، وتحـدث الفصول عن خصائص كل النوعين في الانفاظ والعبارات والموضوع ، وما يثيره كل من النوعين في الذهان والعقل ، وما يهدف اليه النـثر المـعرف من محاولة التـعبير عن الانـكار بقدر مساـلو من العـبارات ، رغبة في ابراز الحقائق المجردة دون مبالغة فيها ودون التـاثـر في الـذهـان بالصور الخيالية والـمـجازـات اما في النـثر العـاطـفى فيـؤـكـد المؤـلـف انـ الـامر يـكـاد يـقـتصر عـلـى مـذـلـولاتـ الـالـنـاظـر ، بل يـتـعدـى هـذـا إلـى ما يـلـى المـذـلـولاتـ مـنـ ظـلـالـ المـعـانـى ، ولـما تـشـيرـهـ فـيـ الـذـهـنـ مـنـ صـورـ وـاخـيلـةـ يـتـأـثـرـ بـهـاـ السـامـعـ اوـ الـقارـئـ ، وـتـسـتـنـجـ مـنـهاـ الـذـهـانـ مـنـ الـمعـانـىـ فـنـونـ ماـ تـحـتـمـلـهـ تـلـكـ الـالـنـاظـرـ اوـ الـعـبـارـاتـ وـلـذـلـكـ يـمـكـنـ الـرـيـطـ بـيـنـ النـثرـ العـاطـفىـ وـالـشـعـرـ ، اوـ يـمـكـنـ انـ يـعـدـ نوعـاـ مـنـ الـشـعـرـ غـيرـ مـنـظـومـ .

ومع هذا ورى صاحب هذا الكتاب ان ليس من اليسير ان نضع حداً فاصلاً بين النوعين : المعرف والعاطفى ، فلا يكـاد يـخلـوـ المـعـرفـ مـنـ كـلـ عـاطـفـةـ خـلـوـ تـاماً ، كـماـ نـرىـ فـيـ الـعـاطـفـيـ اـحـيـاتـ عـبـارـاتـ لـاـ تـهـدـفـ إـلـىـ التـعبـيرـ عـنـ الـحـقـيقـةـ . وـيـوـمـيـنـ المؤـلـفـ إـلـىـ تـرتـيـبـ الـكـلـمـاتـ فـيـ جـمـلـ كـلـ مـنـ نـوـعـيـنـ قـدـ يـخـتـلـفـ ، فـلـاـ نـرـىـ نـظـامـاـ وـاحـدـاـ فـيـ هـنـدـسـةـ الـجـمـلـ .

ولـكنـ «ـ فـنـدـرـيـسـ »ـ يـذـهـبـ فـيـ كـتـابـهـ «ـ الـلـغـةـ »ـ إـلـىـ الفـصـلـ بـيـنـ النـوـعـيـنـ حـتـىـ كـادـ يـجـعـلـ كـلـ مـنـهـماـ لـفـةـ مـسـتـقـلـةـ يـتـخـذـ مـنـ اـسـلـوبـ التـخـاطـبـ بـيـنـ النـاسـ مـيـدانـ تـلـكـ الـلـغـةـ الـاـنـفـعـالـيـةـ ، وـمـنـ اـسـلـوبـ الـكـتـابـيـ مـيـدانـ الـلـغـةـ الـنـطـقـيـةـ .

ولـعلـ اـوـضـعـ ماـ فـيـ غـلـاجـهـ لـهـنـيـنـ النـوـعـيـنـ شـرـحـهـ لـاـخـلـافـ تـرـتـيـبـ الـكـلـمـاتـ فـيـ كـلـ مـنـهـماـ ، اـذـ يـقـولـ : «ـ يـنـحـصـرـ الفـرقـ اـسـاسـيـ بـيـنـ الـلـغـةـ الـاـنـفـعـالـيـةـ وـالـلـغـةـ الـنـطـقـيـةـ فـيـ تـكـوـنـ الـجـمـلـةـ . وـهـذـاـ الفـرقـ يـنـبـقـ جـلـياـ عـنـ مـاـ نـقـارـنـ الـلـغـةـ الـمـكـوـبـةـ بـالـلـغـةـ الـمـتـكـوـبـةـ مـاـ نـقـارـنـ الـلـغـةـ الـمـكـوـبـةـ بـالـلـغـةـ الـمـتـكـوـبـةـ وـالـلـغـةـ الـمـتـكـوـبـةـ تـبـتـدـعـانـ فـيـ الـفـرـنـسـيـةـ اـحـدـاهـماـ عـنـ الـاـخـرـىـ إـلـىـ حـدـ اـنـهـ لـاـ يـتـكـلـمـ اـطـلـاقـاـ كـمـاـ يـكـبـ ،ـ اـلـىـ جـاتـبـ الـاـخـلـافـ فـيـ الـمـرـدـاتـ ،ـ وـلـذـلـكـ لـاـنـ التـرـتـيـبـ الـذـيـ تـتـمـاسـكـ فـيـ الـكـلـمـاتـ فـيـ الـجـمـلـةـ الـمـكـوـبـةـ ،ـ يـنـفـصـ

و خاصة اخرى تجعل اللغة العربية اثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهي خاصة « الایجاز المعرف » وفي هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملوك الحابنة للعرب من ذلك احسن الملوك وأوضحها ابانت عن المقاصد دلالة غير الكلمات فيها. وأوضحها ابانت عن المقاصد دلالة غير الكلمات الحاصلة على كثير من المعانى ، مثل الحركات التى تعين الفاعل عن المفعول ، والجور اغنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالامثل الى الذوات من غير الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب . واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم اطول مما نتدره بكلام العرب .

و تلك احسن الخصائص في لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة في لغات الغرب الى ان الاسلوب الاعلامي يعني : « اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف (93) » .

ومن ذلك ، اختلاف صيغة المبني للمجهول بين اللغات الاوربية ، واللغة العربية ، لأن العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في اوزان الفعل الثلاثي والفعل الرياعي او الخمسي او الفعل المزيد على الجملة ولكن اللغات اخرى تدل على المبني للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (94) .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونتقول : فتح الباب ، « بصيغة المجهول » ولكن العبارة الاوربية التي تدل على ذلك تقابل قولنا (ان الباب يكون مفتوحا) او ان الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لانه اقرب الى الوصف منه الى الاخبار او الاعلام ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (ان الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم ، وهي صيغة الفعل المطاوع ، فيقول الثالث (افتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلاته

ماذا رأيت العرب قد اصلاحوا الفاظها وحسنوها ، وحملوا حواشيهما وهنبوها ، وصلوا عزوبها ، ملا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي باللفاظ ، بل هي عندها خدمة لامعاني وتنوره وترخيصها عنانية العرب انما تحلى الفاظها وتدمجها وتترافقها عنانية بالمعانى التي وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبهما . وقد قال رسول الله (ص) ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . ماذا كان رسول الله يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء لقوم التنسى جعلت مصادى واشتراكا للقلوب ، وسيبا وسلاما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني ، والخدمون اشرف من الخادم . والأخبار في التأطيف بمعنوية الالفاظ الى قضاء الحاجة اكثر من ان يوثق عليها ..

و اذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغات الاوربية ، من حيث ان الجملة في الاخير اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا يتقدم الفعل فيها الا شفواً في حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجاة ووقوع الفعل على انتظار ، مان القول في الذهن العربي ، هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ، ومن هذا يتساوى « القول » و « ان نقول » في الادراك الصحيح (91) .

على ان الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية ، وليس مع وجودها قليلة الاستعمال في موضعها فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقوم للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح موقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السامع . و تلك احسن الخصائص في لغة الاعلام .

فما نقول « محمد حضر » اذا كنا ننتظر خبرا عن محمد او عن حضوره على الخصوص ، ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبرا من الاخبار على اطلاقه ولا يلزم ان يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لمن السامع كان ينتظر كلما عن حسن وعن على كجا يتنتظره محمد ، او لعله خبر سفر وليس بخبر حضور او غير متضرر (92) .

(91) المقاد : اشتات مجتمعات — ص : 57 .

(92) المرجع السابق — ص : 60 .

(93) المقاد : اشتات مجتمعات — ص : 62 .

(94) المقاد : اشتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .

مللقة العربية بذلك تضم في ثنياتها أخص خصائص لغة الإعلام ، وهي العلاقات المتغيرة بين الإنسان والأنسان وبين المرء وبينه ، اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو مادية أو غير ذلك من العلاقات .

وعلى ذلك نان في اللغة العربية طواعية تمكنا من الاجابة على الأسئلة التي تجول في خاطر رجل الإعلام دائمًا وهي : « ماذا حدث » و « ماذا يجري الآن » ؟ « والا من جديد ؟ » « أئمة ما يثير » « هناك ما يُؤذن بجديد ؟ » .

ومرجع ذلك إلى الخصائص الإعلامية الأصلية في اللغة العربية ، والتي تبين من تكيفها وفقاً للقواعد الإعلامية المختلفة ، بحيث استخدمت في الصحافة الحديثة ، وفي الوسائل الإعلامية المستحدثة ، ولم تتع في أخطاء لفوية كالتي تقع فيها اللغات الأوروبية حينما تتحرر من بعض التبادل اللغوي ، ولا سيما عند صوغ العنوانات المختصرة .

ذلك أن الخصائص التي تميز بها لغة العرب استوفت وجوه الدلالة على ما نعلم ، في ملاحظة مقتني الحال ، وقد رأينا من ذلك مثلاً خاصتها في المبني للمجهول ، ووجدنا العربية ثبتت للفاعل درجاته وأنواعه بدقة نسبت من منطق اللغة الذي يفهم بالقياس كما يفهم بالسماع والتوقف .

ولذلك ناتنا عند ما نقول في بسطيات هذا الفصل : إن اللغة الإعلامية هي اللغة العربية الفصحى تعنى ذلك جيماً ، على توسيع ما يذهب إليه البعض في اللغات الأوروبية (96) من أن لغة الإعلام لغة النسخ الصحفي بالذات مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الأصلية الصحيحة .

والاعتراضات التي تثار حول اختيار عبارات العنوانات في الصحيفة هي اعتراضات اقترب إلى الجوهر منها إلى القالب ، فاللغة في العنوانات لا يقصد بها إلا عرض الخبر عرضاً موجزاً ، أما الخبر نفسه فربما لا يكتب بهذا الأسلوب الموجز . على أن اللغة العربية بمرونة خصائصها ، تمكنت من تجاوز هذه الاعتراضات لاتها لغة تميز بالإيجاز

الحقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للمجهول .

ويظهر الفارق في الدلالة على المعانى المختلفة عند استخدام الفعل في الجمل المقيدة على حسب دلالتها . فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لم يهمه أن يعرف من الذي فتح الباب .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجهاً — أيضاً إلى سامع يهمه أن يعلم شيئاً عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهي حالة إنسان منتصر فتح الباب ولا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم أنه يجهله أو يسكن عنه .

في هذه الحالة يقول العربي : « افتح الباب » نبؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التي ينتظر فيها السامعون خبراً عن فاعل الفتح ، معلوماً كان أو مجهولاً أو مسكتوا عنه مجهولاً أو مسكوناً عنه مع علم السامع به تماماً لاختائه أو لامنه .

واللغة الدقيقة التي استوفت وجوه الدلالة — هي كما يقول الاستاذ العقاد (95) — اللغة التي نلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاثة ، ولا تستخدم عبارة واحدة لوضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لوضعها الذي لا ليس فيه .

وهذه هي صفة اللغة العربية في ونائها بالمعنى المتصودة في الاتصال الإعلامي على حسب ارادة المرسل والمستقبل ، أو على حسب ضرورة التسامم بين الاثنين .

وهذه الصفة في اللغة العربية تميزها بما يمكن ان نسميه « الدينامية » او الحركية ، التي يجعلها أصلع اللغات لطبيعة الإعلام ، وتنبعها طواعية في ايراد حادث وقع حالاً يبعث على اهتمام القراء به .

كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يريدون ان يلمسوها به من سرد صحيح موقوت لاحادث وكائنات وأراء وأمور من اي نوع تؤثر في القراء او تثير اهتمامهم .

(95) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .

(96) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 15 .

لأنها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط التناقض من علم وفن وموسيقى ، الخ ..

هذا إلى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد وال الموضوعات العامة . ماللغاية العربية تمتاز بقدرة تعبيرها والقدرة على تمييز الأنواع المبنية والإفراد المقاومة والاحوال المختلفة سواء في ذلك الأمور الحسية والمعنوية .

ومن أمثلة ذلك ان : المشي عام ودرج للصبي الصغير ، وحبا للربيع ، وحجل الغلام ان يرفع رجلا ويمشي على اخرى ، وخطر الشب باهتزاز ونشاط ، وولف الشيخ مشي رويدا بخطى متقاربة ، وهج مشي متلا ، ورسف للمتبدى ، واختال وتجتر وتخلج واهبط وهرول وتهادي وتلود انواع من المشي (97) .

والنظر علم ، ورمقه نظر اليه بمجامع عينيه ، ولحظة نظر اليه من جانب اذنه ، ولحظة نظر اليه بمجلة ، وحده وناظر اليه شزارا اي نظر العداوة ، واستشرف الثوب رفعه لينظر الى صفاتته ، واستكتبه واستشرفة نظر اليه واصفا يده على حاجبه من الشميس ، وصدق جمع عينيه لشدة النظر وتصفح نظر في كتاب او حساب ليكشف صحيحة من سقيمه .

والطيران عام ، والدف والاسفار والرفقة والتلبيق والتدويم والرقيب انواع مختلفة له .

ـ ملائكة في العربية ، دليل على بلوغ اصحابها درجة عالية في دقة التفكير ولكنها خاصة اعلامية حين نقول انهم يتصرفون بميزانية الوضوح وتحديد المقصد تحديداً يقتضيه المطلق العلمي ولا يمكن ان تكون اللغة بعيدة عن الدقة المتصف بالعموم او الابهام او الغموض اداة للتعبير الاعلامي الدقيق ، ولا بد من التقابل في الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوی والدقة في التعبير اداة لا بد منها لرجل الاعلام ، صحفياناً كان ام اذاعياً ، لتصوير مقلائق المعلومات وابرازها في جوانبها الخاصة المميزة ، وصفاتها الثالثة على الوظيفية الهدافـة .

ونحن اليوم احوج ما نكون الى بعث اللنفط الدقيق من لفتنا واحياء الفروق بين الانماط لتكون لدينا لغة

والوضوح والنفذ المباشر والتاكيد والامالة والجلاء والاختصار والصحة .

وذلك ما عنيـاه من قولـنا : ان اللغة العربية ، لـغـة مـعـرـفـيـة .

اللغة العربية وظيفـة هـادـفـة :

ويـبين ما سـبق ان اللغة العربية تـبـعـت بـخـصـائـص اـعـلـامـيـة ، تـجـعـلـنـا نـلـاحـظـ انـهـ تـنـقـعـ مـعـ غـايـاتـ الـاعـلـامـ الـحـدـيثـةـ منـ حـيـثـ اـدـأـةـ وـظـيـفـيـةـ »ـ وـلـيـسـ فـنـاـ جـمـالـيـاـ يـقـصـدـ لـذـانـهـ ، لـانـهـ يـهـدـفـ إـلـىـ الـاتـصـالـ بـالـنـاسـ وـنـتـلـلـ الـعـائـسـ وـالـإـنـكـارـ الـيـهـ .

وـذـلـكـ ماـ نـرـيدـ انـ نـذـهـبـ إـلـيـهـ مـنـ قولـنا : انـ اللغةـ العـرـبـيـةـ ، وـظـيـفـيـةـ هـادـفـةـ ، لـانـهـ كـمـاـ رـأـيـنـاـ لـغـةـ مـعـرـفـيـةـ تـهـدـفـ إـلـىـ الـاعـلـامـ وـالـتـسـيـرـ وـالـتـوـجـيـهـ وـالـتـشـنـيـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ .

فـانـ مـنـ خـصـائـصـ هـذـهـ لـغـةـ العـرـبـيـةـ فـيـ تـبـعـيرـاتـهاـ انـ الكلـمـةـ الـواـحـدـةـ تـحـفـظـ بـدـلـاتـهاـ الشـعـرـيـةـ الـمـاجـارـيـةـ وـدـلـاتـهاـ الـعـلـمـيـةـ الـوـاتـعـيـةـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ بـغـيرـ لـبـسـ بـيـنـ التـبـعـيرـيـنـ .

فـكلـمـةـ النـفـضـوـلـةـ تـدـلـ بـغـيرـ لـبـسـ عـلـىـ معـنـىـ الصـفـةـ الشـرـيفـةـ فـيـ الـإـسـلـانـ ، وـلـكـنـ مـاـدـةـ نـفـضـ بـمـعـنـىـ الـزـيـادـةـ عـلـىـ اـطـلـاقـاتـهاـ لـاـ تـنـقـدـ دـلـالـاتـهاـ الـشـعـرـيـةـ عـلـىـ الـمـوـادـ الـمـحـسـوـسـةـ ، بلـ يـصـحـ عـنـدـ جـمـيعـ الـمـكـلـمـيـنـ وـالـمـسـتـعـمـيـنـ انـ يـنـهـمـواـ «ـ فـضـولـ »ـ القـولـ عـلـىـ اـنـهـ وـصـفـ غـيرـ حـمـيدـ ، لـانـ الـزـيـادـةـ فـيـ غـيرـ جـدـوىـ تـخـالـفـ الـزـيـادـةـ الـمـطـلـوـبـةـ اـذـاـ كـانـ الـمـقـامـ مـقـامـ القـولـ فـيـ صـفـاتـ الـكـلـامـ .

وـلـاـ يـصـعـ الجـمـعـ بـيـنـ التـبـعـيرـ الـوـاقـعـ وـالـتـبـعـيرـ الـجـازـىـ الشـعـرـىـ فـيـ مـثـلـ مـنـ الـكـلـمـاتـ تـجـرـىـ عـلـىـ الـإـلـسـنـ كـلـ يـوـمـ وـتـؤـدـىـ إـلـىـ السـامـعـيـنـ مـعـانـيـهاـ النـظـرـيـةـ الـفـكـرـيـةـ وـمـعـانـيـهاـ الـحـسـيـةـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ بـغـيرـ لـبـسـ بـيـنـ الـمـقـصـدـ فـيـ كـلـ مـقـامـ . مـالـلـغاـيـةـ الـعـرـبـيـةـ اـذـنـ تـسـتـطـعـ انـ يـكـونـ لـهـ تـبـعـيرـهـ اـذـاـ ذـيـشـ حـاسـةـ الـجـمـيلـ لـدـيـ الـتـرـاءـ ، وـتـنـضـمـ اـيـضاـ اـتـصـالـاـ نـاجـحاـ اـسـاسـ الـوـضـوحـ وـالـسـهـولةـ ، وـالـوـقـيـفـةـ الـهـادـفـةـ ، وـسـلـيـقـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـاعـلـامـيـةـ تـكـادـ تـجـمـلـ مـنـهـاـ فـنـاـ تـطـيـقـيـاـ قـائـمـاـ بـذـاتـهـ ، لـتـصـبـعـ تـبـعـيرـاـ اـجـتـمـاعـيـاـ شـامـلاـ فـيـ الـاتـصـالـ الـجـاهـيـ،

(97) «ـ فـنـتـهـ الـلـغـةـ »ـ لـلـشـعـالـبـيـ - طـ 1ـ - مـ 151ـ - 82ـ - 157ـ .

والسرجة والمباح والتنديل ما يستصبح به ، والصمام ما تسد به القوارير ، والكماب للعمل الذي ينطف المثابع والمجاري ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع الطريق الفيقيه بين النازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة في الوصف عند كثير من كتب العربية في مختلف المصور ، ولا سيما في القرون الاربعاء الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادي (557 هـ - 629 هـ) فقد كان دقيقا في ملاحظته وتعبيره في رحلته الى مصر التي سماها « الانفادة والاعتبار » فقد وصف فيها بنيات مصر وحيواناتها وأثارها وصفا ينبع في الاسبان الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله في وصف البايمية : « وهنى ثمر بقدر ابهام اليدي ، كلته جراء (100) الثناء ، شديد الخمرة ، الا ان عليه زبرامشوكا » ، وهو مخصوص الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفي تلك الابيات حب مصطف ، مستثير ابليس اصغر من اللوبيا ، هشن ، يضرب الى الحلاوة ونحوه تبض ولعابية كثيرة (101) .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق في كلماته وصف البغدادي في رحلته هذه ستر ما شاهده في مصر من النبات والحيوان ومعالم العمارة والأثار القديمة وإنما كانت دقة الوصف من استعمال اللفاظ المطابقة لمعانها الدقيقة في دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التي استخدمها كتاب العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث المجري — بان يكون اول مخفي ممتاز او انه عاش في القرن الذي نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم امام : (102) « يمكن النظر الى ادب الجاحظ في مجموعة على انه ادب توفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقدر كان الجاحظ رجلا شديد الاتتماس فى المجتمع ، وهو في الوقت نفسه غزير الاتساع الى درجة تفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالافكار في تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربي في مواجهة التقدم الفنى المائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد اصبت في عصور الانحطاط بفرض العلوم والمفهوم والابهام ، كنتيجة لافتقار وظيفتها المادفة في هذه العصور ، فضاعت الفروق الدقيقة بين اللفاظ المتقاربة غدت متراوفة وكثير استعمال « اللفاظ في المعانى المجازية وصرفت عن معانها الاصيلية فضاع النker بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفرق الناصلة واصبح لكل موضوع مما تكررت تلك التناقض او عرض ذلك الموضوع ماذا كان الموضوع وصف حقيقة او تعزية مصدق او التعبير من فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا تنقل وتتحقق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك الموضوع ماذا كان المناسبة او صفات حقيقة او تعزية او التعبير من فرح (98) . وفي ذلك مثل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامية من ابراز المقومات والزيارات الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق بين اللفاظ في مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابس هلال العسكري وابواب الفروق من كتاب ادب الكتاب لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار العربية » للشعابي .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية الاعلامية في لفتهم ، فيضعون اللفاظ في مواضعها ويحرضون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل اللفاظ التي تتخصص مطلولاتها بها لا تتناول سواها يقدر ما تسمح له اللغة بذلك ماذا ذكر آلة او اداة او طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها باسمائها الخاصة وفرق بهذه التخصص بين انواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطة والجوافة والشائنة لضروب من « السمك » والجمفريه لضرب من المفنن ،

(98) محمد المبارك : خصائص العربية من 62 .

(99) محمد المبارك : من القصص في كتاب النجاة للجاحظ — من : 38 .

(100) جراء جميع جرو الصفار من كل شئ .

(101) عبد اللطيف البغدادي في مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — من : 20 .

(102) دراسات في الفن الصحفى — من : 33 .

فاللغة العربية غنية باللفاظ الدالة على المعانى العالمة كما أنها غنية باللفاظ الخاصة الدقيقة ولغة الاعلام تحتاج الى التوعين كلّيّها في حياتها وتطورها وكل منها موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخفيض اللفاظ بمعانيها الى سعة الاشتراق في اللغة العربية على تواعده التي تؤدي كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان الاشتراق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منها ، فباتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه وتصلح المادة الواحدة اساسا كاملا من المعانى المتفرعة عليها (103) .

ويأتي عمل المضاعف والمزيد فهو يوسع دلالة المادة اللغوية او يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها في بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربي يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه والتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة وليس الكلمة هي العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من اصلها ارتجالا او محاكاً لصوت او تلقيتا للاجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتل العقل المعب صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغة المصدر للمرة او للمئنة او للدلالة على الجمع او الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغة المبالغة والتضييف واسم الفاعل واسم المفعول والمنفعة الملازمة ، والمنفعة المرتهنة بالحدث والزمان (104) .

فالكلام المميز هنا هو صاحب الشأن في تصريف المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق القواعد التي يتبعها تكوين المفردات ، قبل ان تمرض لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات او انشاء الكلمات المرتبطة مع كل مشاهدة تأتى للمتكلم بشئ جديد يحتاج الى لفظ جديد ، ولذلك لم تضع الرابطة الاشتراكية بين اللفاظ العربية على اختلاف عصورها

وتقاليد اجتماعية . لقد كان الجاحظ موسوعي المعرفة دقيق الملاحظة ، سلس الاسلوب ، توی المارضة ، ساخرا متهكما ، ولكن دون مرارة .

واهم من ذلك كان مصيرا بالقلم تصويرا فنيا بجسم انكاره ، تجسيما مشوها اخذا ويكتفى ان نشير الى رسالة التربية والتدوير التي وصف فيها احمد بن عبد الوهاب لكتى نبين عبقرية الجاحظ في فن الكاريكاتور القلمي . وفضلا عن ذلك ، فانك تلمع في كتابات الجاحظ حبا للحياة ، ولو لاما بالناس ، وتقديرا للانسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الافكار المجددة ولكنه اديب اقرب الى الصحفى ، يكتب عن المجتمع باسلوب رشيق سلس اخاذ » .

وبمقارنة الجاحظ بمعاصريه ، نستطيع ان ندرك خصائص اسلوبه القريب من الصحافة ، فابن المقفع ، مثلا اديب وادبه خلاصة مطالعاته وتجاربه وتجارب اسلامه من البيئة الفارسية القديمة . وهو يسئل في كتابة ادبه طرقا فنية خاصة ، وهي تعبير مجازى ممتاز ، كان يتحدث على السنة الطير والحيوان ، ويعتمد على الصور البينية الرائعة ، ولكنه مستوى ادبى جمالي يرتبط بالرمز القنى ، ولا يتصل بالواقع العلمي الا اتصالا يسيرا .

المنجنة والدقّة في اللغة العربية :

تقدمنا نحن نعني بالمنجنة في لغة العرب انها لغة دالة والمنجنة والتيسير من اهم سمات لغة الاعلام التي تعرض الاحداث والافكار متزرعة سماتها كثنا لو كانت وحدات مستقلة وهي منجنة مقصودة لاسباب خارجية اهمها التبسيط للجماهير التي تحتاج الى الفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والافكار العامة التي نشأت في الحياة الانسانية ونمط وتطورت .

وقد قالت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى الانلاظ العامة ، والانماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير عن هذه المعانى العامة في الميدان المادى والمعنوى منذ عهد بعيد .

(103) العقاد : « اشتات مجتمعات » - ص : 100 - 101 .

(104) نفس المرجع - ص : 102 .

ان هذه الخاصة في اللغة العربية من نتاج المعانى بهدف التبسيط في شكلها المتسع المتوع الموجود فى العربية مما يؤكّد خصائصها الاعلية . كمعنى الفاعلية والفعولية والمكانية ، وهى ليست لمناسطا ثابتة لا تتغير ، ولكنها ترتبط بالتطور الفكرى والاجتماعى وحاجتها إلى نماذج أو انباط جديدة ، وقد حدث شئ من هذا في تاريخ العربية ، فقد استعمل في العصر العباسي ما سموه بالنصر الصناعى كالأنسانيّة والحيوانية . وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصيغة لاحتاجنا إليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجوبية والاشتراكية وغيرها .

ان اوزان العربية وابنيتها هي احدى مقوماتها وخصائصها المميزة ، وهى كما نقدم تقويم بوظيفة اعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التي تستعمل للفرضين كثيرة في اللغة العربية وليس بهذه الكثرة ف، اللغات الاوربية .

العربية لغة الاعلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات ان اللغة العربية تتضمن في ابنتها وترابكيها والنااظتها خصائص اعلامية: نهي لغة معزنية ، تقوم على الوظيفية المادفة وتتضمن اتصالا ناجحا اساسه الواضح والسهولة والسلامة والتبسيط ، نهي لغة عملية تعبّر عن الحياة والحركة والعمل والاتجاه ، لانها لغة قوم يتلزّم عندهم التول والتفكر والعمل في حياتهم : فقول العربي تفكيره ،

وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها ،
كلمة « طائرة » و « سيارة » و « هاتف »
و « اشتراكية » ولدت في هذا العصر ، ومع ذلك نان
الرابطة الاستثنائية لم تصنع بينها وبين « طائر »
و « مسي » و « هاتف الجن » و « شرك » مع ان بين
ميلاد تلك الالفاظ وقربياتها هذه مدة تزيد على خمسة
عشر قرنا ، ولا نزاع في ان منهج اللغة العربية في
الاشتقاق قد زودها بخيرة من المعاني والنماذج لا
يسهل اداؤها في اللغات الاخرى ، في نطق التركيز
الاعلامي الذي هو شبيه الاسلوب العربي الاصيل .

فاللفاظ المتناسبة الى اصل واحد تشترك في قدر من
المعنى وهو معنى المادة الاصيلة العام كالطيران في
طائرة والسير في سيارة وتنسir والاشتراك في الشرك
والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول ان العنصر
الثابت من اللغة ، والمكون من جزء ملدي هو الحروف
الثابتة في مادة الكلمة وجزء معنوي هو معناها العام ،
هو اداة النبذة ووسيلة الاتصال بين جماهير الامة
المربية :

وإذا كانت النمذجة في لغة الاعلام لا تقتصر على الشخصيات بل تتجاوزها الى الانكار والمذاهب والعقائد . بحيث أصبحت هناك انكشار ثابتة عن الشيوعية او الرأسمالية ، ويطلق الجماهير ثقافتها ومعلوماتها من خلال هذه التماذج ، فقد كانت العربية من اوائل اللغات استخداماً للنمذجة عن طريق استخدام العام مثلاً في بعض ما يدل عليه ، لسبب اجتماعي ما ، يزيل تفاصيل العهد عموم معناه ، ويحصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله . ولدينا في اللغة العربية آلاف من امثلة هذا النوع .

من ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المطلوب ثم شاع استعمالها في الاسلام في معانٍ خالمة تتعلق بالمقاتل او الشعائر او النظم الدينية : كالصلوة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمناقف والركوع والسجود... الخ - فالصلوة مثلاً منعها في الاصل الدعاء - كما جاء في القرآن الكريم : « وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » - ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظاهر الدعاء ، حتى أصبحت لا تصرف هذه اطلاقها الى غير هذا المعنى. والحج معناه في الاصل قصد الشن واتجاه اليه ، ثم شاع استعماله في قصد البيت العرام ، حتى أصبح

روح الامة العربية وتجاربها المتراكمة المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لطلبات الحياة ، ومتضيّفات الحضارة ، وتدل كذلك على الذهن العربي المتمع بالنقاء والصفاء ، والفتح والانطلاق ، وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت في مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجده في اقوال العرب : **اللفظ المعبر** ، المسؤول عن وظيفته في الجملة والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها ووظيفتها في تأدية النكارة ، وايضاح المعلومات .

وتفكيره بعد لعمله . ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلي زهير احد شطري الانسان اذ قال : « لسان الفقى نصف ونصف مؤاذه » .

تلك بعض السمات في اللغة العربية ، هي اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريق ان هذه اللغة الحية هي نفس اللغة التي اقتربت من الادب عند الجاحظ ، بأسلوبها السهل المتع القوى المعبر ، المتدفق في حيوية وابداع . ومن ذلك يبين ان اللغة العربية – وهي وعاء العقل العربي – تتميز بخصائص اعلامية نشأت فيها من



الفصل الخامس الاعلام واللغة المشتركة

جميعا ، يتخذونها اداة التعبير عن آدابهم ، ويعتززون بها كل الاعتزاز . ولهذا نزل القرآن الكريم بما ، فلم تكن لغة قريش وحدها لولقة مكة وحدها ، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعا ، غير ان نزول القرآن بها قد زادها ازدهارا فوق ازدهار ، وثبتت اركانها ودعائهما .

ولهذه اللغة المشتركة صفات :

أولاها : أنها خاضعة لقواعد معينة تباعد ما بينها وبين التطور الا ببطء شديد وفي زمن طويل ، وهى لهذا اسمى من لهجات الحديث اليومي المعتمد المتداول في المنازل والطرقات والأسواق ، ولذلك يصطنعها من يريد اجاده القول واتقان الاداء ، كما يصطنعها رجال الاعلام والاتصال بالجماهير على اوسع نطاق .

وثانيتها : أنها — كما عبر هنرى سويفت — اللغة التي لا يستطيع الساعي ان يحكم على المنطقة المحلية التي يتنتمي المتكلم بها (106) .

ويتبين من ذلك ان اللغة المشتركة — مع أنها نشأت في البدء على لهجة منطقة معينة — قد فكت مع الزمن عناصرها الاولى ، او نسخ المتكلمون بها ينابيعها التي نسبت منها ، فصارت ذات كيان مستقل وشخصية متميزة ، فلا يذكر المتكلم بها او الذي يسمعها منطقة معينة ترجع اليها او طبقة تمت اليها ، بل يشعر أنها ملك مشاع للجميع ، كأنهم صانعواها بغیر نضل يمتاز به بعضهم على بعض .

وفي ذلك ما يؤكد اعزاز المتكلمين بها ، واتخاذهم لها وسيلة للتعبير الاعلامي والاتصال الجماهيري .

وهنك عوامل مهدت للغة العربية المشتركة : منها الدين ، فالقرشيوں يقيمون بواد غير ذى زرع وهم منتقرون الى ان تقوى الى البيت الحرام افادة النفس . وقد استجلب الله دعاء سيدنا ابراهيم ، فجعل الكعبة وكانت القبائل التي تند على مكة للحج ذات لهجات ، منها الجيد ، ومنها الردى . وكانت قريش تسمى الوفدين ، وتستصنى من لهجاتهم ما يروقها ، وكان

تقدما ان الوسيلة الوحيدة الفعالة في الاتصال الاعلامي والجماهيري ، والتي نتمكن بها من ادراك معنى الحياة ، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هي اللغة المشتركة والتي تمثلها لغة الاعلام .

فاللغة المشتركة تمثل في كل الاحوال روح الشعب ، على حين ان الادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة قد يكون عاكسا للتأثيرات الخارجية والاجنبية . واللغة العربية — كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى — هي صورة وجود الامة بآفكارها ومعانيها وحقائق نوسها وجودا متباينا قائمًا بخصائصه ، هي قومية الفكر ، تتحدد بها الامة في صور التفكير ، واساليب اخذ المعنى من المادة . والدقة في تركيب اللغة دليل على نقاء المذاقات في اهلها ، وعمقها هو عمق الروح ، ودليل الحسن على ميل الامة الى التفكير والبحث في الاسباب والعلل .

والمتأمل في طبيعة اللغة العربية ومزاياها في الفن والتعبير ، يكتشف صفات اساسية في هذه اللغة ، تبيّن بها خلال مراحل تاريخها الطويل .

فاللغة العربية تضمنت مزايا وصفات اعلامية في حروفها ومفرداتها وتراتيبها ، لانها كانت لغة مشتركة منذ كان للعرب قبل الاسلام اسوق مشهورة تقام في اشهر مختلفة من العام ، لا للبيع والشراء محسب ، بل ايضا لتحقيق نوع من الاتصال الجماهيري عن طريق المساجلات والمناظرات بين كبار الشعراء ، وفصحاء الخطباء ، اولئك الذين كرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة والرسو بآدابها .

وهؤلاء هم الذين تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بسورة من مثله . اي ان تلك الاسواق كانت بمثابة مؤشرات اتصالية ، فيها ينشد الشعراء ما تجود به قرائحهم وفيها يبرز الخطباء داعين الى مذهب سياسي او دينى بين القبائل المختلفة .

وكانت هذه اللغة الادبية — كما يقول الدكتور ابراهيم انيس (105) — بمثابة لغة مشتركة بين العرب

(105) «اللغة بين القومية والعالمية» — من : 276

(106) ابراهيم انيس : «مستقبل اللغة العربية المشتركة» — من : 5 .

كل هذا كانت اللغة العربية المشتركة هي وسيلة التعبير، وحينما تمت الفتوح الإسلامية في الامصار وما وراء الامصار ، انتصرت العربية على اللغات الأجنبية المفروضة على شعوب المنطقة ، سواء في الشرق او في المغرب ، ويقاد المؤرخون الغربيون انفسهم يجمعون على ان هذه اللغات صفيت من المنطقة في القرن الاول للإسلام .

« ان خمسة قرون من الاحتلال الروماني - لاقطار العرب - لم تستطع ان تترك ما يسمى امام العقيدة الإسلامية واللغة العربية » (109) .

وفي مصر حيث استقرت عهود السيطرة الأجنبية اكثر من الف ومائة عام قبل الفتح العربي لم تجد الجمود التي بذلها الغزاة على ذلك المدى الطويل لفرض تفاصيلهم عليها ، ولم تتمدد اليونانية التي كانت استاثرت بالجال الثقافى والرسسى ثلاثة قرون قبل الميلاد (30.333 ق م) وثلاثة اخرى بعده (616-284) ايم اللغة العربية (110) .

ولم يبد ان العربية واجهت فى اي قطر من المنطقة اي مقاومة من هذه اللغات الأجنبية ، وانما كانت المواجهة مع اللغات الوطنية للشعوب التى دخلت فى الاسلام (111) .

ولانفالي حين نقرر ان اقبال الناس فى بعض الامصار على اللغة كان اسرع من اقبالهم على الدين . وهكذا أصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغة عالمية ، تتنظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تتنظم مصر وشمال افريقيا ، كما سادت في بلاد الاندلس عدة قرون ، وحرصن العلماء والدارسون منذ القرن الثاني الهجري على تعقید قواعدها وتبثيث دعائمها في الامصار فلم يك ينتهي هذا القرن حتى كان لها آثار جليلة في شتى الدراسات الدينية واللغوية (112) .

وظلت اللغة العربية في نهضتها الأدبية حتى بعد استقلال الدوليات الإسلامية عن الدولة المبابسة والتي

الواندون ينتقلون عن قريش ، ويبيشون في الجزيرة ما نقلوا (107) .

ومنها التجارة ، فقد كان القرشيوں يرتحلون في كل عام رحلتين :

رحلة في الشتاء الى اليمن ، ورحلة في الصيف الى الشام ، وأحياناً يضربون في الأرض ، ويمشون في مناكبها الى مارس والى الحبشة ، وهم قوم صناعتهم الكلم ، سرعان ما يضيفون الى لقفهم ما يغذىها ، ويزودونها بما ينميها ويرقيها .

واظهرتها المكانة الاجتماعية التي استمدتها قريش من نفوذها الديني والاقتصادي ، حتى قال ابو بكر في رده على الانصار يوم المسفيفة مؤيداً حق المهاجرين في الخلافة : « وهم اولياً وعشيرته ، واحق الناس بهذا الامر من بعده ، ولا ينزع عنهم ذلك الا ظالم » ، وقال في خطبته الثانية : « لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش » (108) .

وكان لذلك جيئاً اثره في نشأة لغة مشتركة ، قالت اصولها على لهجة قريش وسكان مكة ، وإن لم تخل من لهجات أخرى لكتير من القبائل ، ثم جعلت هذه اللغة المنظورة متزداد على مر الزمن نماء ومقلاً ، وجعلت تنشر في اصقاع شبه الجزيرة ، حتى صارت لغة الابد التي يقطنها الشعراء ولغة الاتصال بالجماهير التي يقطنها الخطباء مما تختلف قبائلهم وتتمدد لهجاتهم .

فما اشرق الاسلام كانت هذه اللغة المشتركة قد بلغت درجة الرقي والوحدة اعدتها لأن ينزل بها القرآن الكريم ، فتمت به الوحدة اللغوية بين العرب .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتصل بالوفود العربية من جهات شتى ، ويراسل الأمراء في الجزيرة وما حولها ، ويعقد المعاهدات مع كثير منهم ، ويبلو القرآن الكريم على قبائل من اصقاع متبااعدة ، ويبعث مندوبيه إلى شتى النواحي لتعليم القرآن الكريم ونشر الدين وجبلية الزكاة ، والقضاء بين الناس ، وفي

(107) د . احمد محمد الحوفي : وحدة اللغة والوطن في التشرع الحديث - ص : 8 .

(108) المرجع السابق - ص : 9 .

(109) ابراهيم حركات : « المغارب عبر التاريخ » - ص : 75 - ط : المسلم بالدار البيضاء .

(110) هارولد ليبلي : « الملينية » في مصر - ص : 55 - ترجمة د . زكي على (1959) .

(111) د . عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » - ص : 61 .

(112) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القوميات العالمية » - ص : 276 .

في الاداء مع اتصالها في الوقت نفسه بالفصحي الطيب في لغة القرآن الكريم ومن ثم اتيح للعربية هذا الانتشار الواسع وطاعت بها السنة الشعوب المتردية مستفيدة عن الدرس والتلقين .

سمات اعلامية في اللغة العربية :

وانتسبت العربية منذ تلك النهضة العظيمة بسمات اللغة الإعلامية ، فهي :

اولاً : لغة مفهومة لدى العامة ، حيث لم تحل اللهجات الشعبية دون فهم نصوص الفصحى ، فالجماهير التي تصلى الجمعة في المساجد الإسلامية على المساحة الكبيرة كانت تفهم خطب الآئمة والوعاظ دون شرح ، وقادة الجيوش في المعارك الإسلامية ضد الغزو الصليبي والتتار ، كانوا يخطبون في جنودهم باللغة الفصحى ، وشعراء الحروب الصليبية ومغارك التتار وخطباؤها الهجوa وجدان الجماهير يقتضون خطبهم بالفصحي ، ودعاة المذهب والفرق ، يتصلون مباشرة بال العامة ، ويؤثرون فيهم بالكلمة ، وما كانوا يتكلمون الا باللغة العربية البسطة .

ثانياً : لغة ديمقراطية ، لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير المفرد وضمير الجمع ، فيقول الله سبحانه وتعالى : « انا ربكم الاعلى » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « انا انا انا بشر مثلكم » ، ويقول له الناس : « ما انت لا بشر مثلكنا » ، الى غير ذلك من اساليب اصيلة في العربية سوت بين الناس في الخطاب والغيبة والتكلم .

ثالثاً : لغة عالمية ، حيث امتنعتها شعوب متعددة، منذ استقرت الدولة العربية في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث من الهجرة . نأخذت بالطبع العربي بينما ولغة وثقافة وحضارة وقد صهرت كل تلك الشعوب التي كانت في آسيا الصغرى و مصر و شمال افريقيا في البوتقة العربية وتالت منها في نهاية الامر شعب عرب واحد ، يدين بدين واحد ويقطن لغة واحدة ، هذا الى ان العربية دخلت ايضاً مناطق نائية من الدين الاسلامي ، وأصبحت هناك لغة الثقافة الدينية ، كما

ظللت تدون بالولاء للخليفة العباسي في بغداد ، تأكيداً للصلة الروحية . فلما كان القرن الرابع الهجري شهدنا شعراء وكتاباً للأداب العربية لا يقلون قدرًا عن الذين كانوا في القرن الاول او الثاني من المجرة ان لم يتتفقوا عليهم .

واللغة العربية ماضية في حركتها تنسع وتنمو وتنطلق جيد الروايد في مرحلة سخية ، وحراسها ماهرون عليها لحساية اصالتها .

واخذت الحياة اللغوية مجريها في جانبين (113) : الفصحى العالمية المشتركة ، لسان العربية ديناً ودولة وثقافة وعلمًا وادباً .

ولمجاتها الاقليمية على السنة الشعوب المستمرة اما الفصحى ، فكانت اللغة العليا المشتركة لشعوب تباعدت اصولها واحتلت اقاليمها وتفاوتت امزجتها وميراثها الفكري والثقافي والحضاري وتتميز مدارس معروفة في النحو والبلاغة في الكوفة والبصرة وبغداد ومصر . واضططع المغرب بدور جليل في الدراسات الاسلامية لوقوعه الهام على تخوم دول مسيحية .

وانتسبت العربية لهذه الانفاق المتراكمة ، فكانت لغة العلم والثقافة والادب لشعوب الدول الكبرى .

وقد استطاعت العربية ببرونة ثالثة ، ان تتحلى ازمة موقعها بين التقديم الاصيل والمحدث الطارئ ، بتطبيع دلالات الانماط والتلوّح في المجاز ، لكي تؤدي المعانى الجديدة التي لم يكن للعرب عهد بها من قبل . وكانت تجريتها التي اثرتها بالمصطلحات والانماط الاسلامية من عصر المبعث الى عصر الفتوح ، قد نجحت تماماً في هذا التطوير لغة الجاهلين الوثنين ، دون ان تجد مشقة او عسر لتكوين لغة الامة الاسلامية (114) .

اما اللهجات الاقليمية فقد اخذت حريتها في الحركة والتلوّح ، فتختلف عن كثير من قيود الاعراب مستفيدة عنها بنسق التركيب ودلالة السياق . وطوطعت الصيغ لواجهة عوامل صوتية جبرية فرضتها طبيعة الاجهزة الصوتية لشعوب تفاوتت مسالكها اللغوية وميزاتها

(113) عائشة عبد الرحمن : « لفتنا والحياة » - من : 71 .
(114) السيوطي : « المزهر في علوم اللغة » - س : 294 وما بعدها .

هي ترجمان عواطفه ومشاعره وافكاره واخباره واهدانيه ، وسجل تاريخه وتراثه وابيه ، والحلب الذي يصل حاضره ب الماضيه ، وطريقه بتالده . والاشتراك فيها هو الاساس الاول للتعاطف والتعاون والشumar بالمواطنة والتقويمية (117) .

وهذا الركن في ذاته مصدر من مصادر انتزازنا بأن لغتنا لغة اعلامية ، خلقتنا من اغنى اللغات الكبرى تراثا ، واطولها عمرا ، وابتداها على الزمن اتصالا ، وقد وسعت ما وصل اليها من معارف الاقدمين في الماضي ، هي الان تثبت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الانساني الحديث ، بل انها تشارك بانتاجها تربية الثروة الادبية والمعقلية للعالم المعاصر .

والعرب الذين يتكلمون بلغة مشتركة لا يتلون عن 95 % من سكان الوطن العربي ، والباقيون يتكلمون بلغة غير عربية ، او بلغة عربية مختلطة بغيرها كالاكراد والشركس والازمن والبرير ، وهذا العدد القليل بالنسبة الى الكثرة العظمى ليس من شأنه ان يخشن الوحدة اللغوية بين العرب .

على ان اللغات غير العربية التي تتكلم هذه الاقليات الضئيلة مستوارى شيئا فشيئا ، وتحل اللغة العربية محلها في زمن ر بما لا يزيد على نصف قرن ، بل ان بعضها في سبيله الى التوارى ، لأن الطلبة من الاراد (118) والشركس (119) والارمن (120) والترك (121) في الشام والعراق يتكلمون العربية وحينما يعم التعليم تتضائل لغات الاقليات ، ثم تنفرض ، ولا شك ان اسلام الاراد والشركس والترك يشد ازر العربية ، ويسرع بها الى التغلب ، فنتم الوحيدة اللغوية .

وتنطبق هذه الحالة على بعض سكان السودان وبعض سكان المغرب ، لأن بالسودان عددا يتكلم بالزنجبية الخامدة ، او بالزنجبية-المزيجية بالعربية ،

هو الشأن في بعض جهات الهند ، وفي باكستان وافغانستان والملايو واندونيسيا ، وغيرها من دول الشرق التي انتشر فيها الاسلام وانتشرت بانتشاره اللغة العربية ودخلت العربية كذلك جهات من افريقيا اعتنق الاسلام واصبحت الان تعرف بالدول الاسلامية في وسط افريقيا وشرقها وغربها .

وقد اتجهت هذه الدول الاسلامية صوب العربية تستمد منها الثقافة الدينية والحضارة العربية ، مثل موريتانيا ونيجيريا والصومال . وهكذا نرى ان العربية قد ذاعت في مناطق متباينة الاطراف ، وان اصبحت من بين اوسع اللغات انتشارا في العالم . ويعدها المحدثون من اللغويين ثلاثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة ممتلكاتها (115) .

رابعا : رحبت العربية في اوج نهضتها بكثير من الانماط التي اقرضتها من اللغات الاخرى ، واستغلتها في المصطلحات العلمية ولغة الكلام . ويتعد ما توسع في الاشتغال والمجاز ضيق باب الاخذ من الدخيل ، صونا للسانها ، فاستفدت الى اقصى المدى ، بتطويع الانلاظ النصحي لكي تؤدي المانع الجديدة على وجه التجوز ، ولم تلجا الى استعارة الدخيل الا عند الضرورة القصوى ، مع اخضاعه للصيغة العربية اما بالالحادي او بتغيير نقطه استعازا بأنه قد صار ملكا لها .

وقد استطاع علماء اللغة من عصر التدوين ان يتخلصوا قواعد لغة المعرب (116) ، تشهد بلان املار لم يترك لغوي عشوائية ، بل خضع لقواعد كانت العربية تجري عليها فيما تأخذه من اللغات الأخرى .

خامسا : لغة مشتركة ، وتلك ظاهرة عميقة الاثر في حياة الانسانية . فلغة اى مجتمع ضفر او كبير ،

(115) ابراهيم ابيس : « اللغة القومية والعالمية » - ص : 280 .

(116) السبوطي : « المزهر » - ص : 268 وما بعدها - (باب معرفة المعرب) .

(117) ساطع الحصري : « محاضرات في نشوء النكرة القومية » - المحاضرة الاولى .

(118) الاراد في شمال العراق والشام عددهم نحو ستمائة الف في اكثر من ثمانية ملايين الى سكان الدولتين لا تزيد على 7 % .

(119) الشركس في سوريا والأردن لا يتجاوز عددهم سنتين الفا وسبعين الى السكان هي 1,3 % .

(120) هاجر الارمن الى الشام من تركيا بعد الحرب العالمية ويشكلون 4 % من السكان .

(121) الترك في العراق وسوريا وهم اقل عددا من الشركس .

وقد مثل ذلك في الشرائع والعبادات التي سنها الاسلام كالصلوة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصلوة يوم الجمعة او في الاعياد للدعائية او الاعلام . ولا كان اجتماع المسلمين في مكة للحج كل عام للدعائية والاعلان . انما كانت هذه الشعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للمظاهر او الفخر او الزهو وغير ذلك من معانى الجاهلية .

وإذا كان الاعلام الحديث ، قد تطورت وسائله منذ اختراع المطبعة التي لولها لما ظهرت الصحافة ، اولى وسائل الاعلام الحديث ، ولما استطاعت الصحينة ان تصل الى آلاف القراء في وقت معين ، وعلى نسبت معين ، فنان الناس في كل زمان ومكان يحتاجون الى تناقل الاخبار ، والى تفسيرها والتعمق عليها ، وهم بحاجة ايضا الى المادة التي يقرؤونها ولكن يتسللوا بها ، ويزيجوا اوقات الفراغ . وهل تنكر لكل بيئة متحضره من بيئات العالم القديم ما يسمى « بالرأي العام » ؟ وهل تنكر ان الابباء في تلك البيئات المتحضره هم الذين كانوا يتلون التعبير عن هذا الرأي العام بلغته المشتركة ؟ هذا كان الحال عند الام القديمة كمصر واليونان والرومان . وهكذا كان الحال في المصور الوسطى الاسلامية كنصر الخليفة العباسية بوجه خاص . وهل نستطيع ان نتصور ان عصرنا كهذا الاخير تعرض لكثير من السوان الصراع السياسي ، والصراع المذهبي ، والصراع العقلي ، والصراع الادبي تد خلا من الابباء الذين تأثروا بهذا الصراع او ذاك ؟ او كانوا سببا من اسباب حدوثه آنذاك ؟

وفي الادب العربي بنوع خاص وجدنا ان انتساع الرأي العام كان يسلك في البيئات العباسية وغيرها من البيئات الاسلامية المتحضره طريقة واحدة هي طريقة (الرسائل الحرجة) يكتبها اباء وعلماء لهم في تاريخ الادب العربي شهرة واسعة . وكانتوا بشهورتهم هذه مصدر خطر على الدولة حينا ومصدر امن لها حينا آخر . وهذه الرسائل التي كتبها اولئك الكتاب في موضوعات السياسة والدين والادب والمجتمع هي مع التجوز القليل – صحافة كاملة بالنسبة للucusor التي ظهرت فيها (124) .

ولأن بالمغرب عناصر تتكلم بالبربرية الصرف ، او بالبربرية المختلطة بالعربية (122) .

والاليوم يتقارب العرب تقاريا جثثا ، وثبرز معلم القومية من نطاق الامل الى نطاق العمل ، ويجهد العرب في العمل على توحيد الثقافة المشتركة وتقاربها ، وتتصل البلاد العربية اتصالا دائمًا موصولة متوايا بالدراسة واجهة الاعلام من صحفة واذاعة وغيرها .

فلا غرابة في ان تجد الكتب والصحافة المصرية ترحبها واقبالا في الاقطار العربية كلها ، وان تجد مؤلفات العراق وسوريا ولبنان وغيرها عنالية بها في مصر ، ولا غرابة في ان يتلهف العرب في كل مكان لسماع الاذاعة العربية من اي قطر من اقطار العربية .

الاعلام واللغة المشتركة :

هذه العوامل والخصائص تعافت على ان تجعل من اللغة العربية ، لغة مشتركة متصلة بالحياة ، قابلة للتطور والتجدد ، وهذه اللغة المشتركة لغة اعلامية قامت على اذاعة الحقائق والواقع ، حتى اذا نزل بها القرآن الكريم ، اعلن انه « كتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم » .

من ذلك لا يستطيع ان يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على أنها دعائية . ولكن يستطيع ان تفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على أنها اعلام بكلم ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذي كان يلقنه الشعراة بين يدي صاحب الرسالة – كشعر حسان بن ثابت – لم يكن من قبل الدعاية للإسلام ولا لنبي الاسلام ، لأن الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شئ من ذلك ، بل ان القرآن نفسه نم الشعراء ..

قال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفطرون » ، هذا ما علينا بأن النبي كان يستمع الى الشعراء ، وكان يثيب بعضهم كذلك (123) .

(122) محمد عزة دروزة : « الوحدة العربية » – ص : 56 .

(123) عبد اللطيف حمزة : « الاعلام والدعائية » – ص : 170 .

(124) عبد اللطيف حمزة : « ادب المقالة الصحفية » – مصر – ج : 1 – ص : 6 – 7 .

وعلى أن اهم المتابع التي واجهت نهضة اللغة العربية ، ولا تزال تواجهها ، هي المشكلة التي نجمت عن وجود لهجات محلية تزاحم الفصحي ، وتهدى من سرعة ثبوتها وانتشارها ، وتستثار دونها بالتعبير عن ميادين الحياة اليومية للناس وتحرمها بذلك الافادة من الخصب والتلجد والحيوية التي يتميز بها لسان التخاطب في المجتمع .

واللهجات — كما هو معروف — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للعرب في جاهليتهم لغات ، عملت فيها عوامل التقرير قبل الاسلام حتى انشأت منها تلك اللغة النصيحة المشتركة ، والتي جاء الاسلام وكتابه العربي المبين فاعطياماها شخصيتها السوية الخالدة ، ووجودها العالمي الواسع وان كانت قد بقيت من لغات الجاهلية آثار نصادفها هنا وهناك في بعض نصوص الادب القديم وكتب التراث ، كما نلمسها في بعض المعاير اللغوية للمتكلمين باللسان المريسي الى اليوم (125) .

ومن المعروف ان البيئات الاسلامية ذات الطابع العربي الفالب قد عاشت منذ تلك القرون بنظامين لغويين : نظام للثقافة والعلم والادب قوامه العربية النصيحة ، ونظام للتواصل قوامه تلك اللهجات الدارجة التي تجردت من الخاصية الرئيسية للفصحي وهي الاعراب ، وعبدت عليها عوادي الاختصار في اشكالها والتحرف في كثير من صيغها ، وتسربت اليها من مختلف الجهات عناصر دخلة وعالية . وظلت الحال على هذا المنوال طوال العصور : جماهير تنشا على العامية في حياتها ، ومتلك ناحيتها بطريقة طبيعية لا تحتاج بعد الطفولة الى تدريب او تعليم ومتقنون يشاركون الجاهير عاميتهم في لسان التواصل ولكنهم في المجال الثقافي يحصلون الفصحي تحصيلا ، ويحظون تواعدهما حفظا ، ويمررون بمراحل طويلة من التدريب ويعمالجون ما تزل به المستنتم واقلامهم من اخطاء في اعراب اللفاظ ، او ضبطها او دلالتها ، وتخالف حظوظهم من القدرة على استعمالها تبعا لعوامل النشأة والاستعداد الشخصي والمجال الثقافي الذي يتحركون فيه .

ومهما يكن من بقایا المصرية القديمة في عربية اهل

ذلك كله في العصور الاولى للادب العربي . اما في العصر الحديث وهو العصر الذي قال فيه شوقي :

**لكل زمان مضى آية
وآية هذا الزمان الصحف**

فقد ظهرت الصحافة ، والصحافة في ذاتها اداة شعبية ديمقراطية اكثر منها اداة رسمية ديوانية . واذا كان لديوان الانتشاء اكبر الفضل في تقديم الكتابة العربية في العصور التي اشير اليها ، فقد اصبح للصحافة اكبر الفضل في تقديم النشر الصحفي واللغة الاعلامية في العصر الذي نعيش فيه .

ذلك ان اللغة العربية لغة ديمقراطية كما تقدم ، فاصبح النثر الصحفي ديمقراطيا يجد نفسه واقفا على خدمة الشعب . ومن ثم اصبحت الصحافة في عصرنا جادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبمحض دائيا عن نظريات آراؤنا وانكارنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وكتابا نقرأ فيه اخبارنا ، ونعرف به آثارنا .

واذا كان عالم اليوم يشهد اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله ، وابيانا صادقا برسالته . واهدافه ، وعملها حادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبمحض دائيا عن نظريات يستند اليها وقواعد تحكمه ، فان هذا الاهتمام امتداد للانتصارات التي حققتها الانسان في سبيل التغلب على ما يفصل بينه وبين أخيه الانسان من حاجز وسدود وقد شهد القرن الحاضر نهضة كبيرة الاثر في اللغة العربية ، تمثلت في نمو ثررتها بما جد عليها من عشرات الوف المصطلحات العلمية والحضارية ، وفي اتساع آفاقها في التعبير نتيجة لما حققه الحياة العربية الحديثة من تقدم في مختلف نواحيها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفي تجدد اساليبها وتخلصها مما علق بها في عصور ما قبل النهضة من البسطوية والزخارف اللغوئية المسرفة ، وفي تطوير قواعدها واستناداتها وتطويرها لطالب الفكر الحديث ، وفي العناية بدراسة ظواهرها على المنهج العلمية التي جاءت مع تطور الدراسات الصوتية واللغوية ، وفي التقارب المحظوظ بينها وبين لهجاتها المحلية نتيجة انتشار التعليم ووسائل الاعلام التي اصبحت عناصر اساسية في حياة امة العربية .

(125) خلف الله : « بحوث ودراسات في العربية وآدابها » — ص : 268 وما بعدها .

بين لغة الشفاعة ولغة الحياة اليومية قد حدث ، وذلك من تأثير ازدياد الجمهور القارئ وتطور وسائل الاعلام ، وتنوع فرص اللقاء والاحتكاك والعمل القومي المشترك. بين المثقفين والجماهير (128) .

ومن خلال هذا التقارب الذى حدث فى الوطن العربى بين لغة الشفاعة ولغة الحياة اليومية تولد لغة الاعلام لغة الصحافة والمكتبات والتدوين والتسجيل ، لغة الاتصال بالجماهير ، تولد على ايدى الرؤاد الذين واجهوا صدفة التعامل مع الحضارة الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى رائد المدرسة الصحفية الاولى فى مصر ، والتى كان رجالها متدينون يقيودون الماضى القريب ، حين كان النثر العربى يميل الى السجع وغيره من السوان البديع الذى فتن بها اباء العربية منذ القرن الرابع المجرى ، وحين كان هذا النثر محبوسا فى اروقة الازهر لا يكاد يتجاوزه الى الحياة فى خارجه . ومن ثم ورث الصحفيون الاولون فى القرن الماضى لونا باهتا من الوان النثر العربى لم يكن خلائقا بان يحتذى ، ولا كان جديرا بان ينسج على منواله . ومع ذلك مخى رجال المدرسة الاولى يكتبون صحفهم بطريقة لا تبعد كثيرا عن هذه الطريقة القديمة ، ولا تكاد تتحرر منها الا فى اوقات قليلة ، ثم جاء الوقت الذى سئموا فيه السجع ، وزهدوا فيه البديع ، وكان ذلك ايدانا بمجن المدرسة الصحفية الثانية ، وهى المدرسة التى نعمت بقسط من الحرية فى الاسلوب لا شك فى انه كان كبيرا بالقياس الى القسط الذى نعمت به المدرسة التى سبقتها ، وكان من اشهر رجال هذه المدرسة : اديب اسحاق ، ومحمد عبده ، وعبد الله نديم ، والولىحي الكبير ، وبشارة تقلا صاحب الاهرام ومن اليهم .

وعلى هذا فالفرق بين المدرستين السابقتين ان الاولى كانت تكتب بالاسلوب القديم الموروث ، وتحاول انشاء المقال الصحفى ، وتعثر كثيرا في هذه المحاولة ، وكان اسباب ذلك عنصران واضحان هما :

عنصر الوراثة ، وعنصر آخر هو تصور هذه المدرسة

مصر (126) ، او بقایا البربرية في لمحات المغاربة ، فان هذه البقايا لا تتفى انتقام المجنين الى العربية ، الا عند ما يتظرون امكان فهم الشعب المصرى او المغربي ، للغات اسلافه قبل الفتح والعرب .

ذلك ان المجلات العامة لم تحل دون فهم عامة الجاهير لغصى العربية ، لا في كتابهم الدينى محسب ، ولكن كذلك فيما يسمعون من مقالات وخطب واناشيد ، لأن عالياتنا لا تدعون ان تكون لمجلات عربية ، تتفاوت وتختلف ، وتظل ابدا متصلة بالفصى العالى في القرآن الكريم الذى حفظ سليقتها اللغوية ، وفي الخطب المترية والسياسية وبالحالات الدينية والاعياد الاسلامية ، وفيما يشدو به آئمة الطرق من اناشيد صوفية ، وفي حماسيات الخطباء او الشعراء قادت حشود كتائبنا في المارك التى عرفها تاريخنا الطويل (127) .

وكان يمكن ان تستمر الحال في العصر الحديث على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحى والمجلات العامة لولا ان الموقف تغير ، وان عوامل اجتماعية وثقافية وقومية جرت عليه ، ومن اهمها تطور وسائل الاعلام التي اسهمت في التغيير الى ما خلفه عصر الركود في الفصحى وآدابها من رواسب الفسف و والسطحية والزخرفة المسرفة والبعد عن واقع الحياة ، واتجهت بلغة العرب الى التزام الوضوح واليسر في استخدام المفاظها ، والتقرير بينها وبين مدارك الناس ، ومتلوك تعبيرهم ، والعمل على تنمية قاموسها ، وربطها بحياة العصر الحديث وحضارته .

ومن الاتصال ان نقرر ان الاعلام لم يكن وحده في هذا التطوير وانما كانت هناك علاقات تأثير وتأثير بينه وبين مجمع اللغة العربية والجامع العلمية وجمود ائمداد والهيئات ومعاهد العلم قطعت اشواطا بعيدة في اغناء القاموس العلمي والحضاري للغة العرب وفي توسيع طرق تربيتها ، وتبسيط قواعدها وكتابتها ، وتصنيف المعاجم الحديثة لها .

ومن الحق ان نذكر ان اصوات الدعاة الى احلال العامية محل الفصحى قد خفت ، وان تقاربا ملحوظا

(126) راجع كتاب الدكتور صبحى : « تواجد اللغة المصرية » وكتاب محمد رضا الشبيلى : « الفاظ مغاربية » و « رحلة الى المغرب » .

(127) عائشة عبد الرحمن : « لفتنا والحياة » - ص 99 .

(128) خلف الله : « بحوث ودراسات » - ص 271 .

الذى برع فيه براعة منقطعة النظر والأسلوب الخطابي الذى بطبيعته الى الاسلوب الصحفى منه الى الاسلوب الادبى (131) .

والى ذلك الوقت كانت المصحف دورية ، بمعنى انها تصدر مرة في كل اسبوع او اسبوعين او شهرا او شهرين ، غير انه منذ ظهور (المؤيد) او قبل ذلك بوقت قليل جدا اصبحت المصحف يومية . وعندما الصحيفه تتضمن كل يوم غذاء جديدا في وقت معين ، وعلى نمط معين ، وكان لهذه الحالة الجديدة اثر بالغ في تطور اللغة التي تستخدم في كتابة المصحف ، فاصبحت لغة المدرسة الصحيفية الثالثة لا مجال فيها للاناقة الفنية التي توخاها الرعيل الثاني من رجال الصحف .

ولا مجال فيها للزخرف الفنى الذي امتازت به اساليب تلك الطبقة الثانية من طبقات الصحافة ، وهكذا شرع الاسلوب الصحفى يبتعد قليلا عن مجال التعبيرات الادبية ويقترب شيئا فشيئا من مجال التعبيرات الصحيفية .

ولم يك ينتهي القرن التاسع عشر حتى اصبح للصحافة في مصر لغة خاصة بها ، وكان ذلك على يد الطبقة الثالثة او المدرسة الاخيرة من مدارس الصحافة المصرية في القرن الماضي واوائل القرن الحالى ، وهى المدرسة التي بدات بالسيد على يوسف صاحب المؤيد (132) .

وقد احاطت بهذه المدرسة ظروف سياسية خطيرة لا شك ان من اهمها ظرف « الاحتلال البريطانى » الذى خلق في نفوس المصريين اليأس مرة ، وغرس في نفوسهم روح المقاومة الفنية مائة مرة . وكان من اثر هذا ان نشطت المقول والاقلام في مصر ، واحتاج الامر الى ظهور طبقة جديدة من الكتاب اصبح لها اسلوب جديد يصح ان يطلق عليه اسم « الاسلوب السياسي » وكان يمثل هذه الطبقة الاخيرة فيما عدا السيد على يوسف صاحب المؤيد ، ومصطفى كامل صاحب اللواء ، واحمد لطفى السيد محرر الجريدة وامين الراندى صاحب الاخبار ، وعبد القادر حمزه صاحب

تصورا تماما عن فهم الفرق بين لغة الكتب ولغة المصحف ثانية (129) .

واما المدرسة الثانية ، فانها اخذت تتحرر - نوعا ما - من قيود الاساليب الموروثة ، واصبحت قادرة على انشاء المقال الصحفى بلغة - هي مع ذلك - اصلح لكتابه الادب او الكتب منها لكتابه المصحف . اي ان المدرستين تشتراكان في صفة ، وتفترقان في اخرى تشتراكان في انهما لم تصلا بعد الى تفرقة واضحة بين لغة المقال الادبى ، ولغة المقال الصحفى . وتتفترقان في ان الاولى قصيرة في اسلوبها بقيود الماضي البعيد او القريب ، عاجزة في الوقت نفسه عن التعبير الحر الطليق هابطة المستوى في مجموعها من حيث الاسلوب في حين ان الثانية حاولت بالفعل ان تتحرر من هذه القيود ، وتكتسب من الميزان الادبى ما جعلها تحسن استخدام هذه الزينة او القيود حين تريد استخدامها على سبيل اظهار المقدرة الفنية - كما كان الشأن مع اديب اسحاق من رجال المدرسة الثانية بنوع خاص .

والحق ان من يطلع على كتابات اديب اسحاق لتروعه تلك الاساليب العالية التي كتب بها في المصحف المصرية او اللبناني .

« ومصدر الجمال في اسلوب اديب اسحاق اشياء كثيرة منها : سرعة الانفعال عند هذا الشاب ، مما جعل اسلوبه ادنى الى طبيعة الشعر منها الى طبيعة النثر . ومنها تلوين الكلام عنده بالمحسنات اللفظية والمعنوية ، مع قدرة ظاهرة على هذا التلوين في غير تكلف ممقوت ولا صناعة مرذولة ، ثم منها الثقافة زوته بمعان كثيرة ، وجعلت الفرق بينه وبين رجل محمد عبده كبيرا . وباختصار نرى ان اسلوب اديب اسحاق يلذ الاديب اكثرا مما يلذ المصحف (130) .

ويقيت المدرسة الصحيفية الثانية تكتب صحافتها بهذه الطريقة الادبية العالمية حتى جاء الاستاذ الامام محمد عبده فأخذ يقترب شيئا فشيئا من لغة المصحف . ثم جاء عبد الله نديم واقترب كثيرا منها ، وساعدته على ذلك ميله الطبيعي اليها واهتمامه بالاسلوب الخطابي

(129) حمزه : « مستقبل الصحافة » - ص : 118 .

(130) حمزه : « ادب المقالة الصحفية » - مصر ج : 2 - ص : 25 .

(131) حمزه : « مستقبل الصحافة » - ص : 120 .

(132) المراجع السابق - ص : 121 .

الادب » (139) ينبع على وجوب اتقان اللغة لامكان اختيار اللفظ الذي يصلح للتعبير عن القصد تعبيراً دقيقاً وموسيقاً معاً . كذلك كان هيكل يرى ان دراسة اللغة لا تتصل بالادب لذاته الا من حيث هي كفاءة الادب فصار اجرها بالاقتراب بالادب ما كان شفافاً تطور صفة الازياز باتقاد الناس في الحياة : وصلة الازياز بالقدر تلائى رويداً بما تنزع طبقات الجماعة كلها نحوه من البساطة في اللباس وبساطة يمتاز فيها النون على قمة الثياب ، حتى لنرى اكثراها اخذوا النظر اشدتها غنية من الحياة ودقائقها . كذلك تطورت لغة الادب فصار اجرها بالاقتراب بالادب ما كان شفافاً عن المعانى والصور التي يعبر عنها معاوتها على زيادة ما في هذه الصور والمعانى من حياة وموسيقى . هذه اللغة الشفافة المضيئة السبالة التي لا تحجب عما جمالاً مما اراد الاديب اثناء تدفقه واندفاعه ، في تفكيره او تصويره او تفانيه وشدوه ، هي التي تعتبر للادب كفاءة وتتصل بالادب في كسائرها ايام ، حتى لتصبح جزءاً من رحيم الحياة الذي يعبر عنه الادب . وهي كلما لطفت وازدادت بساطة ، وشففت بذلك عن كل ما اراد الاديب ان يحملها ايام وكانت في ذلك النغمات الصادرة عن نفس الاديب الصائفة العبارة عنه ، كانت الصدق بالادب في العصر الذي صدر هذا الادب عنه (140) .

ومعنى هذا ان اللغة في نظر هيكل وسيلة حية تخضع للتطور ، ولهذا سجد هيكل يذهب في تجديد اللغة مدى بعيداً ، ومن ذلك ما يذكره في مقال بعنوان : « اللغة والاسلوب » (141) .

عن انتول فرنس حين مثل في رايه من لغة كبار الكتب والشعراء امثال شكسبير وولفير ، مقال : انها لا تخلو من الخطأ حتى فيما يتعلق بقواعد النحو

البلاغ ، ومحمد حسين هيكل محرر السياسيين اليومية والاسبوعية .

وكما كانت هذه المدرسة الصحفية الثالثة جديدة في الاسلوب السياسي ، فكذلك كانت جديدة في التفكير السياسي .

وهذه المدرسة الحديثة ، هي التي ارست اسس اللغة الاعلامية المعاصرة من ترسيل وبساطة ووضوح وحرية التعبير القائم على التعقل الصحيح .

ويعنى هذا ان حركة الفصل بين الاسلوبين الانبى والصحفى اتى بدأت بصاحب المؤيد . ثم كان لكل واحد من اولئك الصحفيين الذين اشرنا اليهم شخصيته التي يستقل بها عن تلاميذ هذه المدرسة . وقد كان هذا الاستقلال في ذاته خطوة من خطوات الانتقال من الاساليب ذات الطابع الانبى الى الاساليب ذات الطابع الصحفى . او بعبارة اخرى كان كل واحد من هؤلاء يقطع بقلمه مرحلة جديدة في طريق الفصل النهائي بين الاساليب الانبى والاساليب الصحفية . ولذا كان لكل منهم اسلوب معين يمتاز به عن سواه من كتاب المدرسة التي ينتمى اليها .

— فعلى يوسف عرف بالاسلوب الحماسى (133) .

— ومصطفى كامل عرف بالاسلوب الحماسى (134) .

— واحمد لطفي السيد عرف بالاسلوب التقانى (135) .

— وامين الرافعى عرف بالاسلوب الدفاعى (136) .

— وعباس العقاد عرف بالاسلوب النزالى (137) .

— ومحمد حسين هيكل عرف بالاسلوب الموضوعى (138) .

وقرأتنا ان الدكتور هيكل قد اكد اللمسات النهائية للغة الاعلام العربي المعاصر ، فهو في « ثورة

(133) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .

(134) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .

(135) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 5 .

(136) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 6 .

(137) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 7 .

(138) شرف : « عباس العقاد صحفيًا » .

(139) شرف : « الفن الصحفي عند الدكتور هيكل » .

(140) من : 37 — 38 ايضاً المرجع السابق — ص : 43 .

(141) شرف : « الفن الصحفي عند الدكتور محمد حسين هيكل » — من : 431 .

موضع الرجال لا للباس الذي يكسوها . وبمقدار ما يعبر الرزى عن الحياة يكون اشد للنظر استرقاء واتوى عن جمال الحياة تعبيرا . وكبساطة الناس في اللباس بساطتهم في الطعام . لم تبق الالوان الكثيرة الشديدة الدسامة محل اللذة والرغبة بل صارت الالوان التي تلائم الصحة وتتفق معها وتعاون عليها هي التي يميل الناس الى اتقان صنعها لتجتمع لهم بين حسن الغذاء ولذته . كذلك اصبح الترف ذاته ينزع الى البساطة والصحة . وان فالحياة الانسانية قد صارت من الرزى والطعام والترف كما اصبحت من مظاهرها العقلية والفنية تزيد ان تكون هي الظاهرة القومية القوية لا يخيفها اللباس بل ينم عنها ولا يتخيمها الطعام بل يقويها ، ولا تفاص بالترف بل تنعم به . كذلك تزيد الا ينتقل النظر على روح الكاتب ، والا تجمد التقليد بريشة الفنان وان ته تع الذاتية الانسانية حرقة متوبة دائمة الابداع والرسى في ابداعها الى التحكم في كل ما في الكون وجعله بعض متع الحياة لكل فرد من الناس ، متع اساسه البساطة والصحة (143) .

ويبين من نظرات هيكل تلك في تجديد اللغة ، انها تذهب بالاسلوب الى ان يستند بлагاته الحقيقة من الواقع ومن الحياة العامة ، لأن بلاغة الاسلوب الصحفى ترجع الى انه يخاطب الوف الالوف من القراء ولا بد لهؤلاء جميعا ان يفهموه جيدا . وفي ذلك يقول الصحفي الانجليزى الشهور ديفون كلمته التى نذكرها دائمًا في هذا المجال ، وهى قوله : انه الاسلوب الذى اذا تحدثت به الى خمسة الاف شخص من يختلثون اختلافا عظيما في قواهم العقلية — فيما عدا الباله والجانين — فانهم يفهمون ما اقول (144) .

فالواقعية اذن فضلا عن كونها صفة من صفات الاسلوب الصحفى ، فانها كذلك مصدر من مصادر القوة والبلاغة في هذا الاسلوب . ذلك ان براعة المحرر الصحفى هي في ان يجعل من القارئ شاهدا من شهدوا الحادث ، وشيريك له في الحكم على القضية السياسية او الاجتماعية او الادبية التي يمرضها في الصحيفة (145) .

والصرف . وضرب على ذلك بعض الامثل ثم اضاف : وخطأ هؤلاء النوابغ هو بعض حسن الخطأ الذى يصيب اللغات لأن ذلك الخطأ كثيرا ما ينشأ عنه تطور صالح في قاعدة من القواعد ما كان ليقع لو ظل الكتاب المتحذلون في قواعد النحو والصرف هم وحدهم المسيطرین على اللغة ، بل ان هؤلاء ليغلوون اقدامهم بأغلال الجديد فيحولون بينها وبين مجازة الحياة في نبوا وتطورها ، ويوافق هيكل هذا الرأى الذي قال به انثال فرانس « تمام الموافقة — كما يقول — بل انى لارى في بعض الاحيان خطأ لغوي سوء في اداء اللون او في صرف اللون ونحو العبارة ، لكنني استطيب هذا الخطأ فإذا لو تناهى له الحياة وتيسر عليه القاعدة خطأ مشهور خير من صواب مهجور . ثم تسبغ الايام على هذا الخطأ من القوادة فيصبح وهو القاعدة التي قال بها سبيوبيه » .

ويلاحظ في هذه الآراء حول اللغة انها تقترب باللغة من النثر العملى كما يذهب بعض اساتذة الادب العربى الحديث (142) للتبين بين لغة الصحافة وبين النثر الفنى والنثر العملى يعتبر اصطلاحا لمسيرة لغة الصحافة للحياة العملية بما يجب ان يتتوفر فيها من عوامل اهمها في عصرنا الحديث السرعة .

ومن اجل ذلك وجدى هيكل في دعوته لتجديد اللغة يقارن بين ازياء العصور الماضية وازياء الحياة الحاضرة ومختلف مظاهرها ، فالحياة الانسانية اليوم تنتزع الى البساطة والى الصحة والى حكم الانسان حياة الوجود بكل ما تمكنه قواه ومواهبه ، والى ظهور الذاتية الانسانية خلال ذلك كله ظهورا قويا واضحا .

فلم يبق شخص الانسان كومة من النسج التفليس تزيينا الانبرطة والدنتلات وتحملها الاحنية المرصعة ، وتكتسو اعلاها شعور مستعار ، وتظل من خلالها صورة وجه انسانى مختلف تحت الالوان ، بل اصبح اللباس من البساطة بحيث ينبع عن خطوط الجسم وحركاته ويشف عن الحياة الانسانية حتى لقد كاد ويصبح بعضها ، وصارت الحياة الانسانية كذلك هي

(142) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 18 — محمود فهمى : « الفن الصحفى » — ص : 77 .

(143) هيكل : « ثورة الادب » — ص : 40 .

(144) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 8 — ص : 400 .

(145) نفس المرجع — ص : 401 .

السياسي والاجتماعي في المجتمع العربي الحديث قدراً من تنويب الفوارق بين الطبقات ، ومن اشتراك طوائف المواطنين في ممارسة الشؤون العامة والنقاش فيها وفي قيادة المينات وإدارة المؤسسات ، وأصبح من الطبيعي ان تضم دور النيابة والمجالس الشعبية وغيرها اعضاء من جماهير الشعب من الفلاحين والعمال وأصحاب الحرف الى جانب العلماء ورجال الثقافة من المواطنين ، ولم يهد من المستساغ في نظام الوحدة ان يختلف لسان التعبير من طائفة الى اخرى في خصائصه الجوهرية (148) .

واذا كان للغة الصحيحة الموحدة ، شائتها في كل قطر من اقطار العالم العربي الحديث فان نمو الوعي بالقومية في الوطن العربي الاكبر قد اصبح يفرض على العرب جهباً عنياً اكبر بلغتهم الفصحيّة في جميع وسائل الاعلام من صحافة الى اذاعة وتلفاز لتحقيق ذلك التقارب المنشود بين العربية الفصحي ولهجاتها ، من جهة ، وبين مستويات التعبير المختلفة من جهة اخرى . وتجعل من اقطار وطننا الكبير وحدة فكرية ومزاجية ، تنتقل بها وسائل الاعلام من ساحل الخليج ووادي الرافدين الى ساحل الاطلس ، ومن اعلى النرات في قلب آسيا الى بوادي دارفور وكردستان في قلب افريقيّة ، ولبناء قوميتها .

ولا شك ان اللغة العربية الصحيحة قد كسبت - من هذا التطور العربي القومي - مزيداً من التفوّذ في الاتصال الجماهيري ، محلياً وعالمياً ، وأصبح لها مكانها كلفة عمل في بعض المنظمات الدولية ، وهذا وضع يستلزم ان تجتاز تلك اللغة الاعلامية الفصحيّة المعادلة الصعبة بين التراث او المعاصرة ، وان تسعى الى التقرب بين مستويات التعبير اللغوي بحيث لا تكون مقطوعة الصلة بلغة التراث ولا تكون مقطوعة الصلة بلغة العلم والحضارة .

وتشير الابحاث التي اجرأها الدكتور ابراهيم امام في نواحي الاعلام وعلم الدلالة الى ان اللغة العربية في مسبس الحاجة الى الابراء الفكرى ،

ونك ما تجده في مفهوم هيكل التجديد اللغة وارتباطها بالواقع ، فالحياة دائمة التطور والتجديد هو آخر مظاهرها . وهذا وحده هو السبب في انه جيد ، فإذا انقضى عصره واحدثت غير الحياة جديداً بعده أصبح هو قدماً . وما دمت تعيش في عصر فات متاثر حتى بحياة هذا العصر ، متاثر بالجديد الذي يحدث فيه (146) .

مستقبل الفصحي في ظل الاعلام :

ويبين مما سبق ان الصحافة قد اسهمت في التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية ، ونشأ من تقاربهما المستوى العملي الاجتماعي في اللغة ، وهو الذي يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام . فما يصبح لدينا ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي : اولها المستوى التذوقى الفنى الجمالى ويستعمل في الادب والفن ، والثانى هو المستوى العملى النظرى التجيدى ويستعمل فى العلوم ، والثالث هو المستوى العملى الاجتماعى .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع انساني والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو في تقارب المستويات اللغوية في الاول ، وتباعدتها في الآخر ، فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوافق طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان المصور الذى يسود فيها نوع من التاليف بين المستويات العلمية والادبية والعملية ، هي غالباً ازهى المصور وارقاها . أما اذا كان كل مستوى لغوى بعيداً كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام المقلسى في المجتمع . وهذا يؤدي الى التدهور والاتحطاط والشيخوخة والانحلال (147) .

ويبين مما تقدم جميماً ، ان اللغة العربية ، قد قطعت هذا الشوط نحو التقارب بين مستويات التعبير عن طريق الصحافة ، ومن جهة اخرى فقد حقق التطور

(146) هيكل : « ثورة الادب » - ص : 46 .

(147) « دراسات في الفن الصحفى » و « العلاقات العامة » و « المجتمع والاعلام و « الاتصال بالجماهير » ايضاً .

(148) خلف الله : « بحوث ودراسات » - ص : 183 .

الرافع والزيارات واحد امين وذكر مبارك وغيرهم ، وقد امتازت « الرسالة » من بين هذه المجالات بسمة انتشارها في العالم العربي ، وبتها كانت شبه مدرسة تخرج منها كثير من الباحثين والكتاب في البلاد العربية على ان الصحافة اليومية قاتلت — ولا تزال تقوم في مصر وغيرها من اقطار الوطن العربي — بتصنيف كبير في تشويط الثقافة الاسمية واللغوية بما كانت تخصصه من صفحاتها لنشر قصائد الشعراء الكبار في المناسبات والاحداث القومية الاهامة ، ونشر الاعمال القصصية والمقالات النقدية .

وقد تطور التحرير الصحفي في الوطن العربي تطوراً كبيراً ويز في ميدانه منذ اوائل هذا القرن كتاب نابهون واسعوا الثقافة ، ارتفعت اساليب الكثرين منهم إلى مستوى عالٍ من البيان ، واثر بعضهم في اساليب الناشئين من الكتاب تأثيراً ملحوظاً (149) .

كما ان الاذاعة والتلفزة باستعمالها العربية تقدم للشعب ثروة لغوية ترفع من مستوى الثقافة والادبي كما انها تعمل على توحيد امة العربية . فالاذاعة التونسية مثلاً تقوم بخدمة مزدوجة .

فانها باستعمالها اللغة « العربية » وهي التي يستعملها الاستاذ عبد العزيز العروى ترفع من مستوى التونسية الدارجة وتقربها من الفصحى المبسطة وهذه خدمة تستحق التقدير . ثم ان اذاعة المحاضرات والاخبار بالفصحي يعود الساميون على تفهم لغتهم القومية الرفيعة ويساعد على انتشارها (150) .

وقد اسهمت الاذاعات العربية على اختلاف محطاتها ومصادرها في نشر الفصحى وتعميمها في التفوس مكملة عمل الصحف ، بل ان تأثير هذه اوسع لوجودها في كل دار يستمع اليها الذكور والإناث ، والمسافار والكتار كل يوم اكثر من مرة . و اكثر اذاعتها بلغة سليمة في الجملة ، وببعضها القليل يسمو بالسلبيين الى مستوى رفع على حين كان بعضها ينحط بضعف لفته او لحسن تلاوته . لكن آثارها في الجملة واسعة في خدمة اللغة العربية .

وقد لمس ذلك المعلمون الابتدائيون ، فقد انخفض

والتقرب في المستويات المختلفة ، ولا يتأنى ذلك الا عن طريق استعمال اللغة في ميادين العلم الحديث ، وخاصة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الحديثة . ويدرك الدكتور امام الى اننا لا ينبغي ان ننتظر حتى تقنن المصطلحات ، فلا يمكن ان نبقى بمعزل عن الحضارة الحديثة . وما لم نستعمل لقتنا في هذه الميادين فاننا نحكم على انفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهاً لشيء واحد كالعملة تماماً . ولكن تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة لا بد وان تعبر عن الفكر الحديث وهي قادرة على ذلك ، وأنها تتعانى من عدم الاستعمال .

وان وسائل الاعلام هي من افضل الوسائل لانتشار اللغة العربية والربط بين رجال الفكر من جهة وبينهم وبين الجماهير في العالم العربي من جهة اخرى وقد اسهمت الصحف منذ نشأتها في اثراء اللغة العربية ونشرها ، وكان منها ما اتخذ منه بعض المفكرين اداة لدعواتهم الاصلاحية كصحيفة « الجريدة » التي دعا رئيس تحريرها — احمد لطفي السيد في مطلع القرن الحاضر لتطهير اللغة الفصحيحة والتقريب بينها وبين لسان التخاطب باصطدام اسلوب ميسر للكتابة بها للجماهير ، ومنها ما حصلت بالبحوث العلمية في شتى المعارف ومنها اللغة والادب كمجلتي « المقتطف » و « الهلال » اللتين سجلت مجلداتهما المحاولين الاوليين في انشاء المجتمع اللغوی بالقاهرة ومباحث « اندیفات العلمية » التي بحثت شؤون اللغة والادب ، كندوة « دار العلوم » التي عقدت عام 1908 وناتجها فيها طائفة من كتاب الاستاذة والمفكرين مشكلات الفصحى والعلمية و موقف العصر الحديث من التطور اللغوی ، ووضع اسماء للمسميات الحديثة وغيرها من المسائل .

ومن تلك الصحف ما كان مجالاً لمجالات ادبية ولغوية كان المتقدون والشباب بوجه خاص يتبعونها في شسف واهتمام « كالسياسة الاسبوعية » ومجلتي : « الرسالة » و « الثقافة » لما كان يثار على صفحاتها من معارك ادبية يشتراك فيها قادة الفكر واعلام الكتابة من امثال طه حسين وهيكل والمازنی والعقاد ومصطفى صادق

(149) المرجع السابق .

(150) مجلة « اللسان العربي » — العدد السادس — 1388 هـ — من : 28 .

احسن بكثير من لغات العالم . و ذلك ان الكتابة الشائعة الاستعمال هي كتابة غير مشكلة ، اي غير مقيدة بحركات ، و ان القراءة تتبع لان تصبح في اكثر الحالات قراءة صامتة .. وهكذا يتضح ان دعاة العلمية و «اللاتينية» يريدون ان يعتقدوا المسألة ، ودعوتهم تهقرية لأنها لا تراعي رغبة الاقتصاد والسهولة في الكتابة التي يتجه اليها العالم اليوم في جميع وسائل الاتصال الجماهيري .

وعند البحث الرصين تشهد للأبجدية العربية بأنها اصلح من سواها لكتابه جميع اللغات وسيما في لغة الاعلام الحديث الذي يتجه الى الاقتصاد في الحرف واللطف والتعمير .

ولم يعد خائبا حتى على الاجاتب المتعين بشؤون الثقافة العربية ان قواعد اللغة من اسهل القواعد كتابة ولنقا ونحوها وصرفا .

اما كتبتها فتصویر مطبق للنظر الى بعد الحدود ، نبودها وحركتها القصيرة حين يخوض الامر الى تصویر الحركات اکسباها ایجازا في الكتابة واقتاصدا في وقت القراءة ، مما تكتب بالحروف العربى اذا كتبه بالحروف اللاتينى يشق مثل حيزه العربى ، ثم انت مضطر الى الإبطاء في القراءة فيها حتى يستوعب نظرك الحروف ، وليس في الكتابة العربية حروف مركبة لاداء صوت فرد بل كل حرف يصور صوتا ولكل صوت حرف خاص ، وليس فيها حروف ترسم ولا تقرأ كما يعهد في اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية (154) .

وتظل اللغة العربية بعد ذلك اوفر مदدا في اصوات المخارج التي لا تطبع ولا تذكر بمجرد الضفت عليها ، وليس هناك مخرج صوتى واحد ناقص في الحبروف العربية ، وانما تعتمد هذه اللغة على تقسيم الحروف على حسب وقوعها من اجهزة النطق ، ولا تحتاج الى تقسيمها باختلاف الضفت على المخرج الواحد ، كما يحدث في الباء الخفينة والباء التقبلة التي يميزونها بثلاث نقط من تحتها بدلا من النقطة الواحدة ، او كما يحدث في الفاء ذات النقطة الواحدة والناء ذات

عناؤهم في انهم طلابهم معانى النصوص لمبادرة اذعنهم الى المقصود ، و ذلك دون شك من فعل العنيبة بلفة الاذاعة (151) .

وتلبيسا على ذلك يمكن القول ان الاعلام قد اسهم في تعليم العربية الفصحى لغة جامحة مشتركة يقرؤها اليوم ويكتبها ويستمع اليها نحو ثمانون مليونا من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي . يصف الكوبيت في اقصى الشرق العربى الى اذاعة الكويت في اقصى المغرب كما يصف الى اذاعة الكويت نفسها ، وينهم الريطاقي المغربي اذاعة الكويت المشرقة منه لاذعاته المغربية .

بل ان المسلم الصيني المتعلّم او التجارى ليدخل المغرب العربي لنفهم عن علماته وينهمون عنه بهذه العربية الفصحى التي اتسع انتشارها منذ ثلاثة عشر قرنا فكانت الى اليوم اقرب الى اللغة العالمية .

اذا كان الاعلام قد حسم — ولا يزال يحسم — مشكلة الاذواج اللغوى ، لصالح اللغة المشتركة الفصحى ، فلن هناك من يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية لكتابه اللغة العربية ، ويزعمون قصور الحروف العربية في الاداء ، ويدعوه سعيد شهاب الدين (152) ان اللغة الفرنسية مثلا لا تملك الا 26 حرفا للتعبير عن 36 صوتا ، فلا انطباق اذا بين الصوت والرمز . ويقول غالوبشيه ان الاملاء الفرنسي صعب جدا ويقاد يكون اصعب بكثير من غيره (153) . وعرضن لادعائهم ان الكتابة العربية ليست عملية اقتصادية ، مثبتا العكس ، مكل كلمة عربية اذا كتبت باللاتينية احتاجت الى ضعى عدد حروفها العربية ، وينتهى الى قوله :

« ولا نقول ادعاء اذا اعلنا ان اللغة العربية بحروفها هي الاولى في العالم التي تجري بسهولة في كتابة المصحف والمجلات والنشرات اليومية والاسبوبيات فهي اكبر اختصارا من غيرها واوفر اقتصادا في الوقت والمال والنظر والكتابه ، وفي سهولة التبادل التجارى والنكرى وغيره . وهي تؤدي النتائج

(151) سعيد الانجليزي : « حضر اللغة العربية » — من : 150 .

(152) (152) « دعاة العلمية » — من : 20 .

(153) سعيد الانجليزي : « حضر اللغة العربية في الشام » — من : 196 .

(154) المقابد : « اللغة الشاعرة » — من : 9 .

نـا اذا اضفت الى ما تقدم ، ما توفر في الفصحي من جميع صفات اللغة المشتركة الشاملة في كل المصور، تـيزها من كل اللهجات المحلية بمستوى لغوي راق ، واستقرارها على قواعد لا تسمح لها بالتغيير والتطور الا في القليل من الاحيان وبعد اجيال من الاستعمال حتى اتخاذها الناس في جميع المصور مقياسا لحسن القول واجادة الكلام ، وانها على طول المصور كانت اللغة المشتركة الوحيدة التي تناهـم بها ابناء العرب والتعلمون من غير العرب بين الصين والمحيط الاطلسي في العالم القديم كله ، وزاد اليوم المقاومون بها بسبب انتشار التعليم ووسائل الاعلام ، وربما لم يبق على سطح الارض اليوم عربي لا يفهمها ولو كان اميـا . وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو الى استخدام الاذاعة والتلفاز للهجات المحلية في برامجها ونشراتها، وقد سلمنا جميعا بأن احدا من الاميين في البلاد العربية لا يفوتـه فهم شـئ من الاخبار المذاعة بالفصحي فـهمـا جيدـا .

ان وسائل الاعلام جميعـا مدرسة عملية فعالة سريعة الثمرات ، فعلىـنا ان نستخدـمـها طـريقـا حقـيقـا لـتحـقـيقـا وـحدـتـناـ اللـفـوـيـةـ .

ويـتـسـمـ هـذـاـ الطـرـيقـ بـسـمـتـيـنـ ، اوـاهـماـ : تعـيـيـقـ الـاـيمـانـ بـمـسـتـقـبـلـ الفـصـحـيـ وـضـرـورـةـ تعـيـيـهـاـ حتـىـ تصـبـحـ قـرـيبـاـ لـغـةـ حـيـاةـ إـلـىـ جـانـبـ كـوـنـهـاـ لـغـةـ فـكـرـ وـثـنـافـةـ ، وـثـانـيـةـ : التـخـطـيـطـ وـالـتـنـفـيـذـ لـبـلـوـغـ هـذـاـ الـهـدـفـ ، وـاسـتـخـدـمـ الـاعـلـامـ مـجـالـاـ لـتـعـيـيـمـ هـذـهـ الفـصـحـيـ فـجـمـيعـ مـجاـلـاتـ الـحـيـاةـ .

النـقطـ الـثـلـاثـ اوـ كـمـاـ يـحـدـثـ فـيـ الجـيـمـ المـعـشـشـةـ وـغـيرـهـاـ . ذلكـ ماـ نـعـنـيهـ بـالـلـفـةـ الـاـعـلـامـيـةـ فـيـ تقـسـيمـ حـرـوفـهـاـ ، فـهيـ لـغـةـ اـنـسـانـيـةـ نـاطـقـةـ تـسـتـخـدـمـ جـهـازـ النـطقـ الـحـيـ اـحـسـنـ اـسـتـخـدـمـ يـؤـدـيـ الغـرـضـ المـشـودـ فـيـ اـقـتصـادـ شـدـيدـ ، وـلـيـسـ هـنـاـ اـداـةـ صـوـتـيـةـ نـاقـصـةـ تـحـسـنـ بـهـاـ لـابـجـيـدـةـ الـعـرـبـيـةـ .

اماـ النـحوـ فـنـقـدـ دـخـلـ عـرـضـ قـوـاءـهـ مـنـ التـسـمـيلـ فـالتـالـيـفـ ماـ جـعـلـهـ مـيـسـورـ الفـهـمـ خـيـفـ العنـاءـ بـحـيـثـ انـحـصـرـ فـيـ الـكـلـمـاتـ الـمـعـرـبـةـ اـسـمـاءـ وـفـعـالـاـ ، وـالـخـلـاصـاتـ الـاعـرـابـيـةـ التـىـ نـجـدـهـاـ فـيـ بـعـضـ الـكـتـبـ الـحـدـيـثـةـ لـاـ تـبـلـغـ الصـفـحـةـ (155) .

والـصـرـفـ لـاـ صـعـوبـةـ فـيـ قـوـاءـهـ الـاشـتـقـاقـيـةـ الـمـطـرـدـةـ الـحـيـةـ فـيـ الـلـهـجـاتـ الـعـامـيـةـ كـلـهـاـ ، وـلـاـ سـيـماـ فـيـ الـاسـمـاءـ ، فـأـوزـانـ اـسـمـ الـفـاعـلـ وـاسـمـ الـمـفـعـولـ وـاسـمـ الـصـفـةـ وـاسـمـ الـتـنـفـيـلـ وـاسـمـ الـآـلـةـ هـىـ فـيـ الـعـامـيـةـ وـالـفـصـحـيـ (156) . وـصـنـفـوـةـ القـوـلـ ، اـنـ الصـحـانـةـ وـالـاذـاعـةـ وـاجـمـزةـ الـاعـلـامـ الـاـخـرـىـ وـمـاـ الـيـهـاـ ، كـلـ ذـلـكـ عـمـلـ عـمـلـهـ فـيـ تـمـكـينـ الـفـصـحـيـ فـيـ اـسـمـاءـ غـيرـ الـتـعـلـمـيـنـ حـتـىـ الـفـوـهـاـ ، وـحتـىـ اـرـتـقـتـ لـفـتـهـمـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـشـعـرـونـ ، وـحتـىـ ضـاقـتـ الشـفـقـةـ جـداـ بـيـنـ الـفـصـحـيـ وـالـعـامـيـةـ ، وـبيـنـ مـسـتـوـيـاتـ الـتـعـبـيرـ الـمـخـلـفـةـ ، وـحتـىـ يـسـتـمـرـ الـاعـلـامـ فـيـ تـحـقـيقـ هـذـاـ الـغـرـضـ الـتـبـيـلـ ، لـتـبـقـيـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ لـغـةـ حـيـةـ تـنـسـعـ لـلـفـكـرـ وـالـعـلـمـ وـالـفـنـ وـالـتـشـرـيـعـ ، وـلـذـلـكـ فـيـجـبـ اـنـ تـكـوـنـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ هـىـ الـلـفـةـ الـمـشـترـكـةـ فـيـ الـحـيـاةـ وـالـجـمـعـ وـفـيـ جـمـيعـ وـسـائـلـ الـاعـلـامـ مـقـرـوـءـةـ وـمـرـثـيـةـ وـمـسـمـوـعـةـ فـيـ كـلـ الـبـلـادـ الـنـاطـقـةـ بـالـعـرـبـيـةـ .

(155) سعيد الافغاني : « حاضر اللغة » - ص : 196 .

(156) ابراهيم انيس : « محاضرات عن مستقبل اللغة العربية » في صدد كلامه على اللغة الانجليزية المشتركة التي استمدت معظم صفاتها عن لهجة الطبقة الاستقرائية ..